جيفارا



قراءة في حياة ... وأوراق

عصام عبد الفتاح

مكتبة جزيرة الورد

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : جيفارا .. قديس الثورة .. وأمير الثوار

المـــــؤلف : عصام عبد الفتاح

رقم الإيـداع :

الترقيم الدولي :

الطبعة الأولى 2010

الناشر : مكتبة جزيرة الورد

ميدان حليم ـ خلف بنك فيصل الرئيسي ـ شارع 26 يوليو من ميدان الأوبرا .



■ جيفارا.. قديس الثورة .. وأمير الثوار

المقدمة

المقدمة

من منا لم يرى صوره في كثير من الأماكن.. على الجدران بين بيوت الفقراء.. وفي شوارع كل مدن العالم.. غربه.. وشرقه.. شماله.. وجنوبه.

لماذا يستحضر دائماً صورته.. وكلماته من يعانون من الظلم.. ومن يسعون للثورة معاً في آنٍ واحد.

لماذا أضحي ذلك الرجل رمزاً ثورياً للمقهورين والفقراء والمناضلين .

لماذاالإجابة ببساطة شديدة نجد ذكره دوماً حاضراً بين العمال.. والفلاحين.

لأنه لا يوجد نموذج لرمز ثوري عاش مع الناس وداخلها بقوة نموذج جيفارا[1].. فهو بلا شك واحد من أهم الشخصيات في القرن العشرين.. وأهم الشخصيات الثورية عبر التاريخ الحديث باتفاق معظم مؤرخى هذا القرن.

هل يكفى هذا التعريف؟

بل هل يكفى إسناد تلك الصفة إلى المؤرخين فحسب؟

لا..

لماذا؟

لأن هذا الثائر تحديداً – دون ثوار التاريخ كله – كان وكأنه قديساً.. وراهباً في صومعةٍ خاصة.. مرفوعٌ على بابها يافطة مكتوبٌ عليها « هنا محراب الثورة».

(1) اسمه بالكامل من واقع شهادة الميلاد ارنستو جيفارا دِلا سيرنا (Ernesto Guevar de la Serna).

ولأنه مازالت تداعيات أفكاره التي هزمت أعتى الأنظمة المتســلطة.. ومواقفه تلقي بظلالها على مســار الفكر الإنســاني.. لتســاعد على تحول جيفارا من مجرد ثائر عادي إلى بطل شــعبي تملأ ســيرته كافة أنحاء الدنيا.. تُكْتَب له الأغاني بمختلف اللغات.. تصنع من سيرته الخاصة الأعمال الفنية.. والدرامية.. والمسرحية [1].

تتحدث عنه المجتمعات بمختلف الثقافات.. تحمل اسمه المحلات.. والمطاعم.. ومتاجر مختلفة الهوية.. توضــع صــوره الشــهيرة بالكاب الكوبي الشــهير.. وأحياناً بالســيجار على التى شــيرتات.. والملابس التى يرتديها شــباب رُبما وُلِدَ أباؤهم بعد إعدام هذا الثائر الاســتثنائي في كل شيء.. وكأنه قد خرج من رحم الحياة ليســكن تلك الزاوية الفارغة من تاريخ البشر ـية.. زاوية لم يشــغلها قبله أحد.. زاوية البطل الشعبي العالمي.. الذى يصلح نموذجاً للـ(الثورجية) في كل زمان.. ومكان.

نعم فإنه وإن كان لكل شــعب بطله الأســطوري الخاص به.. إلا أن ذلك الركن كان بحق كما قلنا فارغاً.. ركن البطل الشــعبي الموحد بالنســبة للجميع.. ولعل السـبب في ذلك هو التغير غير العادي الذي حدث في شـخصـية جيفارا أثناء رحلته الاستكشافية داخل أمركيا اللاتينية.

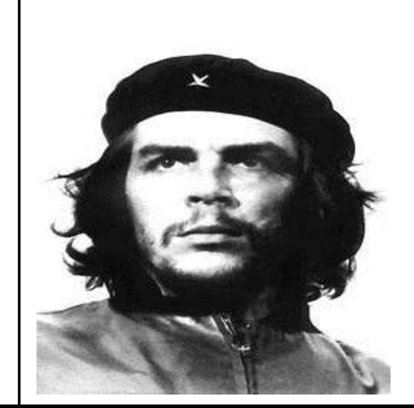
(1) بلغ عدد الأعمال الفنية المســتوحاة من حياة جيفارا حوالى 110 عملًا على مســتوى العالم تنوعت بمختلف الأشكال المشار إليها.. بينما لا يمكن حصر ـ كم المؤلفات التى تتحدث عن أسطورة هذا الثائر.

إذن نحن لسنا أمام قصة بطولة خارقة فحسب.. وإنما أمام لمحات من حياة ثائر رحال كان يحلم بالحرية لكل البشر.

الحديث عن جيفارا يطول.. وأية مقدمة لعمل يترجم لحياته.. وأسباب أسطورته يحار معه الكاتب.. كيف يبدأ.. وكيف ينتهي.. وهذا هو أصعب ما واجه كاتب هذه السطور.. لذا من الأفضل أن نبدأ مباشرةً معاً رحلتنا مع سيرة هذا الثائر دون الخوض في المزيد من كلمات التقديم.

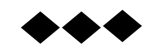
عصام عبد الفتاح

El btrawy@yahoo.com



■ جيفارا .. قديس الثورة .. وأمير الثوار

تمهيد أمريكا الجنوبية
والعالم بعد الحرب العالمية الثانية !!



العالم الجديد هو مصـــطلح أُطلق على القارتين الأمريكيتين من قِبل المســـتوطنين الأوروبيين الأوائل الذين اعتقدوا حينها أن العالم يتألف فقط من أوروبا وآســـيا وأفريقيا.. وهو ما أطلقوا عليه مصـــطلح العالم القديم[1] وهو عالم ماقبل رحلة كريستوفر كولومبوس[2] الشهيرة التى وضعت الأمريكيتين على الخريطة الجغرافية التى صنعها الإنسان للكرة الأرضية.

والقارتين الأمريكتين هما :

- أمريكا الشمالية بولاياتها المتحدة.
- وأمريكا الجنوبية بدولها المختلفة [3].

والأخيرة تقع في القسم الغربي لخط جرينتش ومعظمها في نصف الكرة الجنوبي.. ويمر بها خط الاستواء في أجزائها الشمالية.

(1) القارتين القطبيتين لا يدخلان ضمن مصطلح العالم القديم ولا العالم الجديد.

(2) كريســـتوف كولومبوس (1451 – 1506م) رحالة إيطالي مشـــهور.. ولد في مدينة جنوة في إيطاليا ودرس في جامعة بافيا الرياضيات والعلوم الطبيعية وربما الفلك أيضاً.

(3) تبلغ مســـاحة القارة إجمالياً (3.5٪ من ســـطح الأرض).. ويقطنها حالياً ما يقرب من 400 مليون نسمة. وآخر إحصاء رسمي معلن لتعداد السكان الإجمالي في القارة عام 2005 قدر عدد سكانها بـ 371 مليون.

وقام الجغرافى الألمانى مارتن فالد سـميلر[1] برسـم خريطة العالم الجديد كما رآه ووصـفه أميريجو واقترح أن يطلق على هذا العالم اسم مكتشفه ووجد هذا الاقتراح قبولاً.. وسـمى هذا العالم الجديد أمريكا نسـبة إلى أميريجو فيسـبوتشي ـ[2] أول مستكشف حقيقي لها.

وأهم دول أمريكا الجنوبية هى الأرجنتين والبرازيل.. يحدها من الشرـق المحيط الأطلسي ـ ومن الغرب المحيط الهادي.. أما من الشـمال فتحدها أمريكا الشـمالية.. والبحر الكاريبي.. ويحدها من الجنوب التقاء المحيطين الأطلسي ـ.. والهادي بالإضافة إلى القارة القطبية الجنوبية.

تولدت لدى كولومبس فكرة هذه الرحلة.. و سعى بكل جهده لتحقيقها لسببين أساسيين هما:

---

(1) ولد في 1470 توفي في 16 مارس 1520 ويدعى هيلاكوميليس وهو راسـم خرائط ألماني من عصر ـ النهضـة.. ولد في فريبورج بألمانيا.. تعلم فن الطباعة على يد عمٍ له في بازل.. في 25 أبريل 1507 طبع كتابًا تحت اسم مقدمة في الكوسموجرافيا استعمل فيه لأول مرة اسم أمريكا المقتبسة من اسم أمريكو فسبوشي ليسمي به الأراضي المكتشفة للعالم الجديد. ولم يندهش المؤرخون عندما عرفوا أن اختيار مارتن فالدسـميلر اسـم أمريكا عوضًـا عن كولوميا كان لأن رحلات فسـبوشي لأمريكا الجنوبية كانت معروفة أكثر من رحلات كريستوفر كولومبوس وتتمير بمصداقية كبيرة.

(2) أميريجو فسبوتشي (Amerigo Vespucci) هو في الأصل بحار ايطالي ولد في 9 مارس من عام 1454 في فلورنسـا وتوفي في 22 فبراير 1512 كان الولد الثالث من عائلة فلورنسـية محترمة..الرسـائل التي كتبها فسـبوشي تقول أنه قام بأربع رحلات إلى أمريكا بينما بينما المؤكد أنها ثلاثة فقط .

- الشهرة والثراء.
- الرغبة في ايجاد طريق آخر غير الطرق التي تمر ببلاد المحمديين [1] على حد تعبيره في مدوناته البحرية.

فبذل جهداً كبيراً في الدراســة البحرية العملية الحديثة في عصرــه بعد أن ترامى لســمعه ما أقرّه علماء عصرــه من كون العبور إلى شــبه القارة الهندية وقارة آســيا لا يقتصر فقط على الرحلات المتجهة شرقاً ولكن إمكانية الوصول بالإتجاه غرباً وذلك لكروية الأرض.

وانطلاقاً من هذ الاستنتاج قرر المغامرة معتمداً على أحدث خرائط علماء عصره خاصــة تلك التى وضــعها الإيطالي باولو توســكانيلي وكذلك الألماني مارتين بيكهام[2] وكِلا العالمان متخصّصان بالرياضات.. والفلك.. والجغرافيا.

ولكن الحقيقة أن كريستوفر كولومبس ليس هو الذي اكتشف أمريكا بل توقف في منطقة ما وواصلها بحار مرافق له يدعا أمريجو وبهذا سميت القارة أمريكا.

---

(1) يقصد ببلاد المحمديين بلاد المسلمين.

(2) إثنان من أشــهر جغرافي ذلك الحين الأول عاش بين عامي (1397-1492).. والثاني (1459-1505)

خطاب لملك البرتغال :

وتقدم كولومبوس بعروض مختلفة للبلاط الملكي لتمويل رحلته فرفض عرضه مجلس الشيوخ في جنوة.. وكذلك الملك هنري السابع ملك انجلترا فلجأ إلى إرسال رسالة إلى مستشار الملك البرتغالي خوان الثاني قائلاً:

أنا أعرف أن وجود مثل هذا الطريق هو برهان حقيقي على كروية الأرض.. ولسهولة برهان هذه النظرية قررت افتتاح هذا الطريق البحري الجديد.. وسأرسل إلى جلالتكم الخارطة من اكتشافي الخاص.. سيكون موجود عليها ميناؤكم.. وجزركم.. موضحاً عليها وجهة الإبحار نحو الغرب.. والأماكن التي سأكتشفها أثناء الرحلة.. وأيضاً أبعد نقطة يمكن الوصول إليها سواء من القطب.. أو من خط الاستواء.. والمسافات التي ستعبرونها للوصول إلى البلدان التي قد تحصدون منها الكنوز.. لا تتفاجؤا إذا قلت أن بلاد الغرب بلاد الكنوز كما أنهم وكالعادة يسموننا الشرق.. حيث أن من أبحر باستمرار اتجاه الغرب قد وصل بلاد الشرق عبر المحيط إلى النصف الثاني من الكرة الأرضية.. ولكن إذا أرسلتم مكتشفين عبر اليابسة انطلاقاً من نصف الكرة الأرضية التي أنتم فيها.. فإننا نجد أن تلك البلاد التي تم الوصول إليها ما هي إلا الشرق.

لكن في النهاية خاب ظنه أيضاً في ملك البرتغال.

أمير البحار والمحيطات

وفي 30 ابريل 1492 وقع الملوك الكاثوليك الإسـبان.. مع كريسـتفور اتفاقية.. جاء فيها أن كولومبوس كمكتشـفٍ للجزر والقارات في البحر والمحيط.. وانطلاقاً مما سـبق سـيُمنح رتبة أمير البحار والمحيطات كقرار ملكي يسرـي في جميع أنحاء البلاد.. و يُضاف إلى ذلك أنه سيُمنح 10٪ من الذهب والبضائع التي سيُحضرها معه بدون أية ضرائب.

الإعداد للرحلة

تم تجهيز أربعة سـفن خاصـة مختلفة الأحجام للقيام بالرحلة.. جميعها من نوع خاص يسمى كارافيل (Caravelle) وجميعها شراعية تبحر اعتماداً على قوّه الرياح واتجاهها وهي:

- السـفينة الأولى: سـفينة القيادة سُـميت «سـانتا ماريا» الجزء الغاطس منها 2.8م.. حمولته الكليّه 227 طن.. عدد الطاقم 84 بحّار.. كانت هذه السفينة بقيادة الأدميرال (أمير البحر) كولومبس.
- السـفينة الثانية: بينتا.. الطول 20.1م.. العرض 7.3م.. الغاطس 2م.. الحمولة 168.4 طن.. الطاقم 65 القبطان والمالك كان مارتين آلونسو بينسون.

- السـفينة الثالثة: اسـمها الحقيقي كان سـانتا كلارا.. وإن سُـمِيت في معظم المصادر التاريخية باسم« نينا».. الطول 17.3 م.. العرض 5.6م.. الغاطس 1.9م.. الحمولة 101.2 طن.. الطاقم 40 بحار.. القبطان ڤيسـنتي يانيس بينسـون ومالِك السفينة خوان نينيه.

أول اكتشافاته

في 12 أكتوبر أُكتشِـفت ما تسـمى اليوم جزر البهاماس إلا أنه أطلق عليها اسـم سان سيلفادور والتي كانت أولى الخطوات.

في 28 أكتوبر وصـلوا كوبا.. وقد تم الوصـول إلى العديد من الجزر التي لم يخطر على بال أحدٍ وجودها في تلك الفترة.

عودة سفينتين

في 16 ديسـمبر 1492 عادت السـفينتان بينتا ونينا إلى إسـبانيا في رحلة عودة اسـتغرقت ما يُقارب 3 أشـهر حيث وصـلتا الميناء الإسـباني في 15 مارس 1493 وهي أول الرحلات البحرية التي اسـتغرقت هذه المدة من الابحار المسـتمر في ذالك العصر.

اعتقاد خاطئ

كان باعتقاد كولومبس أنه وصل إلى ما يُسمى بالهند الغربية.. وقد كانت رحلاته موفقة حيث اسـتطاع إحضـار الكثير من الذهب.. وامتلاك العديد من الجزر التي سُميت بالهندية.

وبناء على تلك النتائج كان ملك وملكة إسبانيا في غاية السرور.

استمر في رحلة استكشافه

لم يتوقف كولمبوس عند هذا الحد من الاكتشافات فقد كان دوماً تواقاً لاكتشاف ما هو أبعد.. وعاد ليُبحر ثانيةً من موانئ إسبانيا بإسطولٍ مكون من 17 سفينة يرافقه 1500 بحار.. وكانت سفنه مجهزة بتموين يكفيهم 6 أشهر.

وكسابقتها نجحت الرحلة.. فقد اكتشف جزراً جديدة ومن ضمنها ما يُعرف اليوم بجزر الأنتيل.. ومن بعدها البحر الكاريبي من الجهة الجنوبية لكوبا.

وفي مايو 1494 وصل جامايكا.. وأدرك غيرها العديد من الجزر الواقعة شرق القارة الأمريكية.

وبذلك وصل كولومبوس إلى أهم الاكتشافات وأهم الطرق البحرية الجديدة.. وتم وضع خرائط ورسومات جديدة.. كل هذا ولم يخطر على باله يومًا أنه لم يصل الهند.

وفاته

في 20 مايو 1506 في أسبانيا تدهورت صحته وبدأ يصارع الموت بعد أن تعارك طوال حياته مع أمواج البحر والمحيط.. وتم دفنه في فايادوليذ في البيت الذي كان يقيم به [1] دون القيام بمراسم الجنائزية التي عهدها علماء ومكتشفي ذلك الزمان.

الهنود الحمر

الأمريكان القدماء أو الأمريكان الأصـــليون أو الهنود الأمريكان أو الهنود الحمر هم السكان الأصـليون للأمريكيتين قبل عصر كريستوفر كولمبس.. سمُّوا بالهنود الحمر لأن كريستوفر كولمبس ظن خطأ أنه حطّ رحاله في الهند عندما اكتشفها.

وهم أول من زرعوا التبغ وحرقوه واستنشقوه بقطعة خشبية شبيهة بالبايب وتقول إحدى أساطير الهنود الحمر عن بداية زراعة التبغ فيها ما يلى:

(كانت توجد قبيلة فقيرة جداً حتى جائتهم امرأة وساعدتهم وكانت كلما تلمس الأرض بيدها اليمنى تزرع الأرض ذرة وكلما تلمس الأرض بيدها اليسرى تزرع الأرض قمحًا فتعبت فاستراحت على مكان ما.. فهذا المكان زرع بالتبغ).

ويمكننا القول أن الهنود الحمر هم أول شعوب تكتشف الأرقام والرمز عليها وكانوا متقدمين جداً قبل ميلادالمسيح –عليه السلام- بحوالى 3700 سنة.

(1) هو الآن متحف خاص يحمل اسم كولومبوس. وقد أُعلن في 2006 عن نتائج بحث قام به فريق من جامعة غرناطة حول عظام الشخص المدفون في كاتدرائية سيفيبا.. أثبت فيه أنها تعود إلى كريستوفر كولومبوس.

ولكن بسبب كسلهم الشديد وانتشار الأمراض (بسبب التدخين) وانتشار الخرافات ظلوا كما هم حتى تخلفوا تماماً عن العالم فجاءت أوروبا واستولت على أراضيهم بالكامل.

وأغلب سكان الهنود الحمر الأصليين يعيشون حالياً في بيرو.. وحسب بعض الإحصائيات تقول أنهم مهددون بالانقراض.

ويُقالُ أنهم نزحوا قبل 10 آلاف سنة قبل انحسار العصر الجليدي الأخير.. من جزر جنوب شرق آسيا حيث عبروا المحيط الهادي بقواربهم المصنوعة من جذوع الأشجار أو الجلد.. حاملين معهم جميعًا أدواتهم وأسلحتهم الحجرية.. ثم عبر ممر أرضي كان بمضيق بيرنج بشمال شرق سيبيريا إلى القارة واستوطنوها.

وكان هذا الممر وقتها يربط شمال غرب أمريكا الشمالية بشمال شرق آسيا.. واستطاع السكان الأوائل تسخير المصادر الطبيعية وتأقلموا مع المناخ والأرض التي كانوا يعيشون بها.

وخلال آلاف السنين أقاموا لهم ثقافاتهم.. وحضاراتهم بشمال شرق القارة.. فاستعملوا أخشاب الغابات في بناء بيوتهم وصنع قواربهم (الكانو) وآلاتهم الخشبية.. وفي جنوب غرب الصحراء زرعوا الذرة وبنوا بيوتهم من طابقين من الطوب اللبن أو المجفف في الشمس.

بينما ظهرت بأمريكا الشمالية حضارة النحاس.. وحضارة الصيادين بالبر والبحر.. ولاسيما حول البحيرات الكبرى بكندا والولايات المتحدة الأمريكية. وكانوا بصنعون من النحاس آلاتهم بطرقه ساخنًا أو باردًا. لكنهم لم يعرفوا طريقة صهره ولا كيفية صبه قي القوالب كما كان متبعاً في العالم القديم منذ سنة 1500 ق.م.. وفي المنطقة القطبية الشمالية مارسوا صيد الأسماك والحيوانات.

وعندما استعمرهم الأوربيون في القرن 15 الميلادي.. واجهوا تحديات كبيرة.. لكن بعضهم تعايش وتبادل التجارة معهم واستوعبوا تقنياتهم.. لكن الأوربيين استولوا علي أراضيهم وكانوا يبيدونهم في كندا وأمريكا.

وكانت هذه القبائل يطلق عليها قبائل أونانداجو وموهاك وشيروكي.. وكلهم كان يطلق عليهم الهنود الأمريكان.. أو الهنود الحمر.

وفي كندا كان يطلق عليهم عادة شعب أبورجينال (aboriginal people).

ولما وصل كريستوفر كولومبس عام 1492م أرضهم.. كان عددهم يقدّر ما بين 40 إلى 90 مليونًا.. وكانت بيرو أكثر المناطق ازدحامًا.

ولما جاء الأسبان وجدوا 50 قبيلة هندية في الغرب بما فيها شعب بيبلو (Pueblo) وكومانش (Comanche) وبيمان (Piman) ويمان (Yuman) وكان لهم لغاتهم المتنوعة.

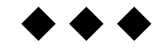
وجلب الأوربيون معهم الأمراض كوسيلة حرب بيولوجية كالجدري والحصبة والطاعون والكوليرا والتيفود والدفتريا والسعال الديكي والملاريا وبقية الأوبئة التي كانت تحصد السكان الأصلبيين.. وكانت توزع عليهم السلطات البريطانية الأغطية الحاملة للأمراض عن قصد بهدف نشر الأمراض بينهم.. والقضاء عليهم.

وهذه الحضارات لم تعرف المحراث أو العجلة أو دولاب الفخار أو الحديد أو العملة كما كان معروفاً في حضارات العالم القديم وقتها.

وصنع الإنسان الأول بالأمريكتين آلاته من عظام البقر والجاموس الوحشي ـ والأحجار التي كان يكسر بها العظام.. كما اخترع السكاكين ليقطع بها اللحوم والحِراب للقتال.. وكان يطلق السهام كالقذيفة لاصطياد الطيور والحيوانات.. واستعمل الشِراك والفِخاخ والحِبال لصيد الحيوانات.

وبشكل عام فإن وعورة أرض الجنوب بأمريكا الجنوبية جعلت المجتمعات هناك قليلة السكان ومبعثرة ومتباعدة.

هذا هو المناخ العام الذي لم يتغير طوال مئات السنين في أمريكا اللاتينية وهو نفس المناخ الذي وُلِدَّ فيه جيفارا فيما بعد .. وعاش حياته من أجل هدف واحد وهو تحقيق الحرية لأهل تلك البلدان .





جيفارا .... بورتريه خاص جدًا

◆◆◆

لماذا «تشي»؟

لقب تشى -Che- يعنى باللغة الأسبانية «الرفيق» وهو لقب منتشر بكثرة فى دول أميركا اللاتينية.. واقترن طويلاً بـــ «جيفارا» وأصبح يُنادى به ويرمز له بعد وفاته.

جيفارا.. والناس

كان حب« تشي- جيفارا» للناس المظلومين.. والمقهورين في كل مكان هو الوقود الذي يشتعل به محرك الثورة داخله.. لينطلق بلا حدود تعوقه عن إتمام مشروعه الثوري.. ودون اقتناع بأية حدود جغرافية تحول بين الإنسان.. وأخيه الإنسان في كل مكانٍ على ظهر الكرة الأرضية.. فمقاومة الظلم.. والظلمة يجب ألا تخضع لأية معوقات جغرافية.. فهي توحد البشر تحت مظلة القهر.. الذي كانت محاربته هو هدفه الأول الذى آمن به.. وعاش.. ومات من أجله.

لذلك وجد.. وتواجد« جيفارا» في الكونغو.. وذهب إلي مصر.. والجزائر في طريقه ليلتقى الزعيمين المصري جمال عبد الناصر.. والجزائري أحمد بن بيلا [1] اللذان كانا رموزاً للثورة العربية آنذاك.. ثم ذهب إلى بوليفيا[2] حيث كانت نهايته.

(1) أحمد بن بيلا هو أول رؤساء الجزائر بعد الاستقلال.. تولى الحكم فيها من 29 سبتمبر 1962 إلى 19 يونيو 1965. وهو أحد مؤسسي جبهة التحرير الوطني في عام 1954. سجنته الحكومة الفرنسية بالفترة من 1954 إلى 1962.. وبعد الاستقلال أصبح رئيساً للجزائر حتى خلعه هواري بومدين.

(2) بوليفيا هي دولة في أمريكا الجنوبية وخامس دولها مساحة بعد البرازيل.. والأرجنتين.. وبيرو.. وكولومبيا.. وعاصمتها لاباز وأهم مدنها سانتاكروز.. وأورورو.. وسوكوى.. وبوتوسيي.. وكوتشابامبا. تعد الأعلى ارتفاعاً في العالم وعاصمتها الرسميه هي سوكره والعاصمة الفعلية هي لاباز.. وهي إحدي جضارات أمريكا الجنوبية كانت هذه الحضارة سنة 500 قبل الميلاد. وقامت هذه الحضارة في تياهواتكو. وكانت حضارة إنشائية وزراعية وحيوانية. وفي عام 1951 جرت= =انتخابات رئاسية في البلاد.. ففاز مرشح » الحركة الوطنية الثورية» (MNR) فيكتور باز استنسيرو بأغلبية الأصوات.. ولكن الزمرة العسكرية منعته من استلام مهامه.. مما أدى إلى قيام ثورة عامة بقيادة » الحركة الوطنية الثورية» انتهت بالإطاحة بالزمرة العسكرية الحاكمة.. وتسليم استنسيرو مهام رئيس الجمهورية. عمل الرئيس الجديد على تقليص دور الجيش في الحياة السياسية.. وعمد في المرحلة الأولى إلى حله.. ثم أمم المناجم ومنح الأميين (الذين تبلغ نسبتهم 70٪ من السكان) حق التصويت.. وأصدر قانونًا للإصلاح الزراعي. إلا أن سياسته هذه اصدمت بعدة عقبات حالت دون تنفيذها بشكل كامل. وأبرز هذه العقبات.. الصراع على السلطة داخل الطبقة الحاكمة.. وبشكل خاص بين خوان ليشين زعيم عمال المناجم من جهة.. وبين جناح آخر- كان يعتمد على دعم الفلاحين والولايات المتحدة - من جهة أخرى. وقد أثرت هذه الخلافات على المناخ السياسي العام.. ومهدت الطريق أمام عودة العسكر للحكم مجددًا. ولكن قبل أن يتم ذلك استمرت الحياة الدستورية فانتخب هرنان سوازو رئيسًا للجمهورية من عام 1956-1960. وأعيد انتخاب استنسيرو عام 1960 . استغل نائب رئيس الجمهورية الجنرال رينيه بارينتوس أورتونو فترة الاضطرابات والإضرابات.. فاستولى على السلطة بانقلاب عسكري قام به في نوفمبر 1964 . وقد شاركه رئاسة الجمهورية الجنرال الفريدو أوفاندو كانديا حتى عام 1966 حين انتخب رينيه أوتونو رئيسًا وحيدًا للجمهورية. ورغم مساندة القوات المسلحة والكونجرس لرينيه أورتونو فقد لقي معارضة شديدة من قبل عمال مناجم القصدير الذين اتهموا الحكم بالضغط على نقابات العمال. فقامت ثورة عام 1967 قادها جيفارا. إلا أن القوات الحكومية غدرت بتشي- جيفارا.. وألقت القبض عليه وقتلته. كما اعتقلت المفكر الفرنسي- اليساري ريجيس دوبري مما أثار موجة استنكار عالمية واسعة..ثم لقي بارينتوس مصرعه عام 1969 في تحطم طائرة هيلكوبتر.. فخلفه في رئاسة الجمهورية نائب رئيس الجمهورية لويس أدولفو سايلز ساليناز.

قائد بالفطرة

كان جيفارا محارباً رائعاً وزعيماً لا يشُق له غبار وكان يستطيع قيادة الناس بمنتهى السهولة واليسر لأنهم كانوا يثقون به بسهولة وبسرعة بسبب صدقه وإيمانه الشديد ولم يثبت أن هناك أي شخص عمل تحت إمرته وعصي أو رفض أوامره.. لأنه لم يكن يأمر أي شخص بأي عمل دون أن يكون هو نفسه قادرًا على فعل هذا الشيء.

دراما خاطئة

معظم الأعمال الفنية التى تناولت سـيرة جيفارا كانت غير دقيقة وبها أخطاء تاريخية.. حيث تعمدت جميعها أن تقدم ذلك الثائر وكأنه مجرد رجل حرب.. في حين أن الصـورة الأقرب للواقعية.. والأهم هي كونه كان رجلاً صـاحب فكر ومبادئ.. كما أن معظمها صناعة أمريكية بحتة.. وبالتالى جاءت متأثرة بشدة بوجهة النظر الأميركية في جيفارا.. وبالتالى كانت تعطى صورة مشوهة عنه.

أرجنيتيني المولد.. كوبي الجنسية

وُلِدَ في الأرجنتين.. وانضـم إلى فيدل كاسـترو في حركته الثورية التي نجحت في الوصول إلى الحكم في كوبا.. وتقلد هناك مناصباً سياسيةً رفيعة.. ومنحه كاسترو الجنسية الكوبية.

أرقام تواريخ مهمة في حياة جيفارا

30نوفمبر 1956 : إضراب وتمرد شديد صنعه أبناء مدينة سانتياو الكوبية وكان من المفترض أن يكون هذا الإضراب بعد وصـول كاسـترو وجيفارا ورفاقهم إلى الأراضى الكوبية ولكن الحماس دفع بالمدينة إلى استعجال الكفاح المسلح

- 2 ديسمبر : 1956 وصول السفينة جرانما إلى قرب الشواطىء الكوبية وهجوم الجيش الكوبى عليها قبل رسوها على الشاطىء ونزول رجال المقاومة من على السفينة إلى المياه قبل الشاطىء بـ 60 متراً وكان على متن السفينة 82رجلاً فقط

- 3 ديسمبر 1956 : هجوم قوات الجيش على باقى المتمردين القادمين من البحر –جيفارا وباقى رفاقه – فى إحدى الغابات قبل جبل «سيرامايسترا » كان من تبقى من رجال المقاومة بعد الهجوم البحرى ضدهم حوالى 20 رجلاً وجيفارا وكاسترو

- 18ديسمبر 1956 : حيفارا وسبعة فقط من بقوا على قيد الحياة ومن بدأ إشعال شرارة الكفاح .

- 17يناير 1957 : ينضم إلى جيفارا حوالى عشرة من سكان جبال سيرا مايسترا ويواصلون التقدم تجاه قوات الحكومة.

- 30يونيو 1957 : إغتيال « فرانك بايس » رفيق جيفارا والذى تأثر جيفارا بموته كثيراً .

- 25 مايو 1957 : هجوم للجيش الكوبى الموالى للملك على منطقة تجمع الفيلق الأول لجيفارا ورفاقه بقوة قوامها 10 آلاف جندى مدججين بالدبابات والطيران والمدفعية الثقيلة .

- يونيو 1957 : توغل جيفارا بفيلق من رجال المقاومة إلى وسط البلاد الكوبية عابراً بهم 500 كيلو متر من المستنقعات والسهول والخطرة ومستهدفين من رجال الجيش الملكى.

- فى 23 فبراير 1961 عُين جيفارا وزيرًا للصناعة وترك رئاسة البنك الوطنى .
- وفى 17 إبريل 1961 جرى غزو بلايا ريجون.. وكان جيفارا قائدا للأقاليم العسكرية .
- فى أغسطس 1961 مثل جيفارا كوبا فى أحد اللقاءات فى «بونتا ديل إيست» أوروجواى.. ثم قام برحلة قصيرة إلى بيونيس أيريس حيث عقد لقاءات سرية مع الرئيس الأرجنتينى «أرترو فرانديزى».. ثم سافر إلى البرازيل حيث قلده الرئيس البرازيلى «كوادروس» وسامًا.
- عام 1962 أجبرته أزمة الصواريخ الروسية أن يأخذ مكانه فى بينار يل ريو.
- في يونيو عام 1963 فى أرسل جيفارا مجموعة من الكوبيين برئاسة «ماسيتى» إلى الإقليم الشمالى من الأرجنتين لتنظيم حرب العصابات هناك.. وكتب هناك مؤلفه : مراحل الحروب الثورية.
- فى ديسمبر تحدث فى جلسة للأمم المتحدة.. وقال عن النضال المسلح أنه السبيل الوحيد لتحقيق الاشتراكية .
- فى شهر مارس عام 1964 سافر إلى «بكين».. وفى يوم 25 ألقى خطابًا فى المؤتمر الدولى للتجارة والتنمية فى جينيبرا .
- فى شهر يناير عام 1965 سافر إلى الكونغو برازافيل حيث ناقش أمور المقاومة الإفريقية ضد الإمبريالية مع الرئيس ألفونس ماسيمبا.
- وضع جيفارا أسس حملته الإفريقية فى دار السلام بتنزانيا منتصف إبريل سنة 1965 بتكوين قافلة.. قامت فيما بعد بغزو الكونغو المجاورة.. لكن باءت الحملة بالفشل.. حيث لم يلق التمرد تأييدا من الشعب أو من العسكريين المحليين.

- غادر بعدها إلى غينيا وغانا وداهومى.. ثم الجزائر وفرنسا . فى فبراير سافر إلى تنزانيا.. ثم شارك فى اللقاء الثانى للتضامن الاقتصادى الأفرو آسيوى المنعقد فى الجزائر.. لكنه غادر إفريقيا حاملاً معه الشعور بالمرارة.. وعاود السفر فى الوقت الذى حشد فيه وسائل استخباراته فى المواقع التى يظن أنها أكثر تأهلاً للثورة .
- وفى 3 مارس عاود الاتصال بالثوار الكونغوليين.. ثم قام برحلة سرية إلى بكين .
- فى 12 مارس ظهر كتابه : «الإشتراكية والإنسان فى كوبا» والذى عرض فيه نظريته عن الإنسان الجديد.. وعاد جيفارا إلى هافانا .
- فى إبريل أعلن تخليه عن كل وظائفه الرسمية أمام الرئيس الكوبى كاسترو.
- وفى يوليو سافر سرًا إلى الكونغو عبر القاهرة.
- وفى أكتوبر أظهر كاسترو الخطاب الذى تخلى بموجبه جيفارا عن الجنسية الكوبية وعن المناصب القيادية والوزارية .
- فى مارس عام 1966 اضطر لمغادرة الكونغو.. وعاد إلى كوبا.. وفيما بين مارس ويونيو سافر عدة سفريات إلى أوروجواى والبرازيل وباراجواى والأرجنتين وبوليفيا

-

- فى 23 مارس عام 1967 هزم رجال حرب العصـــابات الجيش البوليفى فى معركة لم تكن متوقعة .

- وفى 10 إبريل حققوا نصرهم الثانى .

- فى 14 إبريل استولت القوات البوليفية على معسكر الثوار بعد فترة قليلة من قيامهم بإخلائه .

-

- فى 8 أكتوبر بدأت معركة «كيبرارا دى يورو» وفى اليوم التالى أعلنت الحكومة البوليفية أنها قامت بإعدام تشى جيفارا.

- وفى 15 أكتوبر تلقى فيدل كاسترو رسمياً نبأ وفاة تشى جيفارا.





الفصل الأول

جيفارا ...
المولد .. والنشأة !!

◆◆◆

أحداث الحياة المبكرة لجيفارا يكاد يكون متفقاً عليها بما يشبه الإجماع.. بينما تبدو بعض الأمور المتعلقة بحياته المتأخرة غير واضــحة إلى حد بعيد ومن بين هذا وذاك سنتوقف فقط عند المؤكد منها .

ولـد جيفـارا في 14 مـايو عـام 1928 فى مـدينـة «روزاريو» بـالأرجنتين لأسرة متوســطة انتقل مع عائلته إلى محافظة «ألتا جراتســيا» فى قرطبة بالأرجنتين عام 1932وفى عام 1948 بدأ يتجول فى محافظات الأرجنتين المختلفة.

وتوفي جيفارا في 9 أكتوبر عام 1967 ببوليفيا..

وما بين تاريخي مولده.. ووفاته تحول« جيفارا» تاريخياً.. وثورياً إلى أسطورة ذات طبيعة خاصـة جداً.. لم يعرفها التاريخ من قبل على الإطلاق.. أسـطورة ليسـت تأبى أن تموت.. أو تتلاشــى من ذاكرة الجميع فقط.. إنما تتعاظم ذكراه كل يومٍ عن اليوم الذي يسبقه.. لتحمل صوره أجيال ولدت بعد مقتله بسنواتٍ طوال.. أجيالٌ قد لا تعرف عنه أكثر من اسـمه.. وصـوره بالبيريه الأحمر الشـهير.. والسـيجار الكوبي.. والتي تتصدر مولات.. ومطاعم.. ومحلات كبرى في معظم دول العالم.

تعليمه الأساسي

تلقى جيفارا تعليمه الأســاسي في بيت الأسرة على يد والدته (ســيرينا لاســيليا دي).. وكان جيفارا منذ صــغره قارئًا لماركس.. إنجلز.. وفرويد حيث توافرت مؤلفات كل هؤلاء في مكتبة أبيه بالمنزل .

التحق بصــفوف مدرســة (كوليجيو ناشــيونال) الثانوية عام 1941 وتفوق في الأدب والرياضيات.

كما عايش في تلك الفترة مأساة لاجئي الحرب الأسبانية الأهلية والأزمات السياسية المتتابعة في الأرجنتين خلال عهد الديكتاتور الفاشي لجوان بيرون.

غرست هذه الأحداث في ذهن جيفارا الصغير الاحتقار للممارسات الهزلية الديموقراطية البرلمانية.. وكره السياسيين وحكم الأقلية الرأسمالية.. وقبل ذلك كله حكم واستعباد دولار الولايات المتحدة الإمبريالية لبني وطنه.

وخلال ذلك التحق بحركات طلابية متعددة لكنه لم يظهر اهتماماً ملحوظًا بالسياسة ثم التحق بالجامعة حيث درس الطب في محاولة لفهم مرضه الخاص.

الثائر الطبيب

درس جيفارا الطب في جامعة« بوينس آيرس» بالأرجنتين.. وتخرج عام 1953 ولمرضه بالربو لم يلتحق بالخدمة العسكرية.. ذلك المرض الذي عانى منه جيفارا كثيراً منذ الصغر.. وتحدث عن معاناته مع هذا المرض ضمن فصول عديدة من مذكراته.

حياة جيفارا الخاصة

تزوج تشي جيفارا مرتين وانجب من زوجته الثانية المناضلة الثورية الكوبية إليدا مارش أربعة أبناء إليدا الأكبر أسماها على اسم والدتها.. وتعمل حاليًا طبيبة أطفال.. وكاملليو.. وسييلا.. (محاميان) وأرنستو.. طبيب بيطري.

لم يشـــهد جيفارا مولد أيٍ من أبناءه.. فقد ولدوا جميعهم وهو يتنقل بين اوربا.. ودول العالم.. بينما قُتِلَ هو نفسه وعمره ابنه الأصغر بضعة شهور.. وكانت زياراته لعائلته متقطعة وقليلة للغاية.

زوجة مخلصة

وقد لعبت زوجته إليدا مارش دورًا كبيراً في حياة جيفارا.. فقد كانت شـــديدة الحرص على ألا تُشـــعر أبناءها بغياب والدهم.. وكانت تحدثهم عنه باســـتمرار.. وكان جيفارا يحبها كثيراً.

وتقول ابنته إليدا في أحد حواراتها الصحفية:

«آخر مرة رأيت ابي كنت في عمر الســـابعة ورغم هذه الســـن الصـــغيرة لاأزال احتفظ في ذاكرتي ببعض المشـــاهد والذكريات الجميلة.. تعرفت على والدي من خلال والدتي التي كانت تحبه كثيراً ومن خلال أصـــدقائه الذين أولونا رعاية كبيرة وفاء لذكراه».

الزائر المتنكر

«وتســـتطرد إليدا قائلة : «وكان عادة مايزورنا في البيت متنكراً في هيئات مختلفة.. وآخر صـــورة له في ذهني كان يظهر فيها رجلاً طويلاً يرتدي الملابس العســـكرية.. ويعاملنا بحنان كبير وكان ذلك قبل وفاته بأيام قليلة وهو في طريقه إلى بوليفيا» .

الثمن الباهظ للثورة في حياة جيفارا

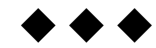
وتقول أيضًا :

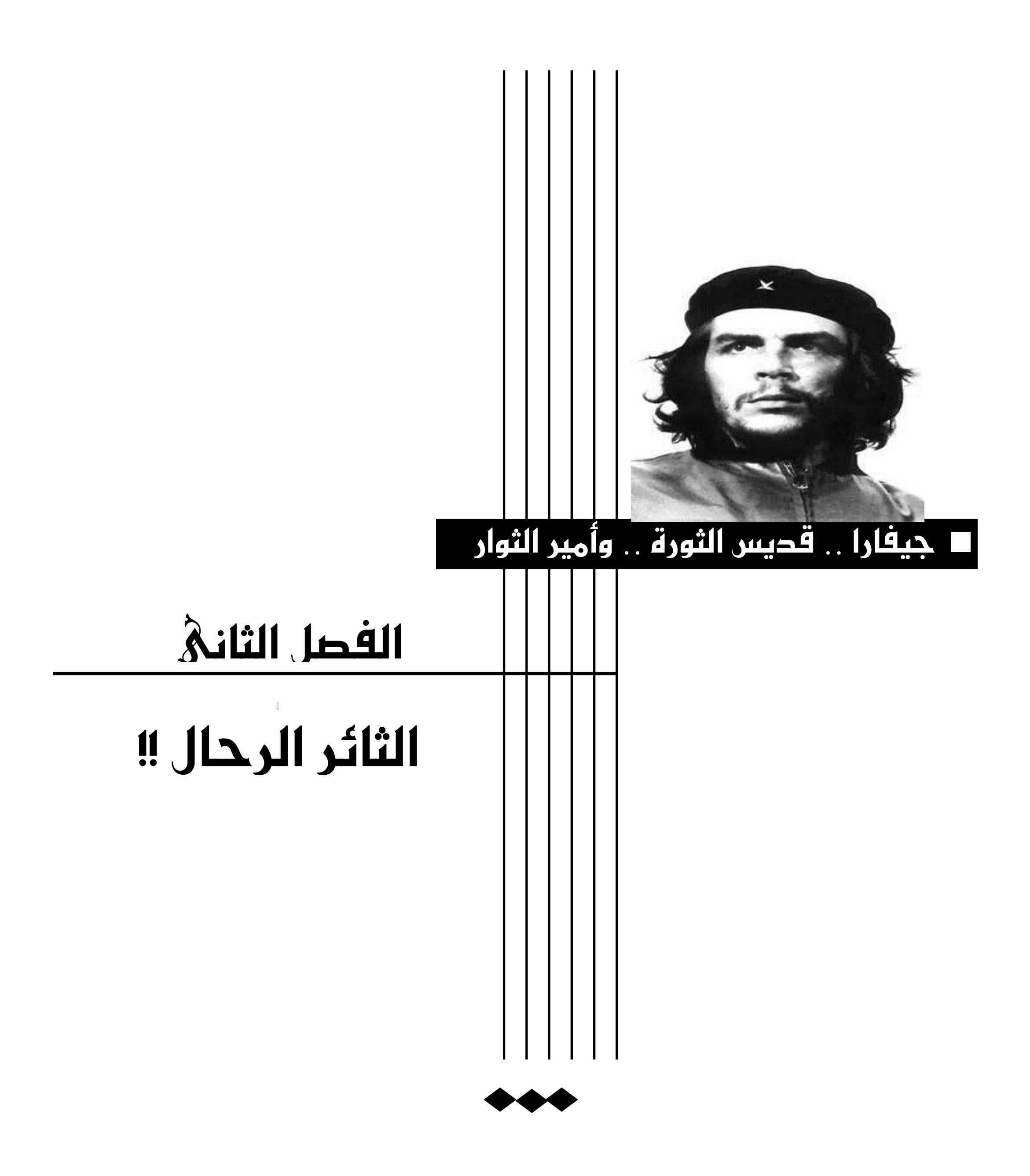
وكنت التقي به دون أن أعرف أن هذا الشخص هو أبي فقد كان يقدم نفسه إلينا على أنه صديق حميم لوالدي وذلك بسبب الخطر الكبير على حياته وفي آخر زيارة أحضر لي الكثير من الحلوى و أثناء لهوي سقطت وجرحت رأسي.. ولأن والدي في الأصل كان طبيباً فقد سارع بالتقاطي من الأرض ومداواتي.. وحينها ذهبت إلى أمي وقلت لها هل تعرفين.. هذا الرجل يحبني جداً.. وإن كنت لا أعلم لماذا؟

ولم تستطع أمي الرد بالطبع وقد سجلت ذكرياتي مع والدي وانطباعاتي عنه في كتاب يحمل عنوان(ذكرياتي مع والدي تشي).

التمساح بيبي

وكان يبعث لنا بالخطابات من الغابات أثناء اختبائه وكان يحكي لنا في هذه الخطابات عن العدل والظلم من خلال شخصية اخترعها هي(التمساح بيبي) وكيف أن هذا التمساح شرير يسيء للآخرين.. وكانت هذه هى طريقته في تعليمنا.. فقد كان والدي يقدر تماماً كثرة العطاء.. فهو نفسه كان نموذجاً مجسداً للعطاء.. وكيف يمنح الإنسان نفسه من أجل قضية يؤمن بها .





الفصل الثاني

الثائر الرحال !!

كان عمره وقتها 23 عاماً فقط.. طالب طب في المرحلة النهائية.. مثله مثل غيره.. شـــاب عادي في مقتبل الحياة.. متفتح يريد أن يفعل كل شيء.. الحب.. السفر.. مفعم بالأمل.. والأحلام.. عندما قرر مع صديق له كيميائي درس الكيمياء الحيوية وتخصص في مرض الجذام (1) يدعى« ألبرتو ميرانا» (2) التقى به لأول مرة عام 1942 عندما كان عمره 14 عاماً.. في حين كان صديقه في العشرين من عمره.. واتفق الاثنان معًا على القيام برحلة لاســتكشــاف قارة أميركا اللاتينية على ظهر دراجة ألبرتو النارية «لا بوديروسا»(3).

---

(1) الجذام (leprosy) هو مرض خطير تسببه فطريات خاصة.. ينتشر في المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية في أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية.. يصنف مع الأمراض المدارية المهملة.. والمناطق التي تتعرض للإصابة هي الجلد أو الأعصاب أو كلاهما. يعزل المصابين بهذا المرض بأماكن خاصة.. ويعد الجذام من أخطر الأمراض الجلدية المعدية. تحدث العدوى عن طريق دخول الميكروب من خلال الاستنشاق أو الطعام أو من خلال التلامس الجلدي أو من خلال الغشاء المخاطي.. تحدث الجرثومة المسببة للمرض استجذاب للخلايا المناعية مكونة تجمعات من كرات الدم البيضاء الدفاعية في مناطق تجمع الجرثومة بأطراف الجلد وحول الأعصاب الطرفية. هذا التجمع الخلوي قد يظهر على شكل بقع بالجلد تكون بارزة في بعض الحالات. كما أن هذا التجمع الخلوي يكون ملاصقًا للأعصاب الطرفية مما يؤدي إلى الضغط عليها وفقدان الإحساس في المناطق الجلدية المصابة.

(2) دكتور وعالم وكاتب أرجنتيني كوبي ولد بتاريخ 8 أغسطس 1922 في هيرناندو الواقعة في محافظة قرطبة الأرجنتينية. كان رفيق تشي جيفارا في رحلته عبر أمريكا اللاتينية.. تلك الرحلة التي سمحت لكلا الرجلين بلمس معاناة سكان القارة وحددت فيها بعد شكل مستقبليهما. كتب غرانادو عن تلك المرحلة مؤلفًا بعنوان السفر مع جيفارا: صناعة ثائر.. استخدم الكتاب كمرجع لفيلم يصف رحلته مع تشي- بعنوان مذكرات دراجة نارية حيث لعب دوره الفنان الأرجنتيني رودريغو دي لا سيرنا بينما لعب دور جيفارا الفنان المكسيكي غايل غارسيا برنال.

(3) باللغة الأرجنتينية تعنى التسمية » الدراجة الجبارة ».

الرحلة بدأت في أكتوبر 1951 وكانت أقرب للتطهير.. وا ستكشاف الذات من خلال تغيير المكان.. منها لمجرد رحلة جغرافية.. وساعدت على تكوين شخصية جيفارا وإحساسه بضرورة العمل على وحدة أميركا الجنوبية.. وبالظلم الكبير الواقع من الإمبرياليين على المزارع الأمريكي البسيط.. وشكلت لديه وهو مازال بعد فتى غضاً في صدر الشباب قناعة خاصة مفادها أن مشاكل الإنسان في العالم واحدة.

وأرخ جيفارا نفسه لهذه الرحلة [1] بمذكرات خاصة.

وقطع الصديقان خلال تلك الرحلة حوالي 8 آلاف ميل [2].. و بدأت من العاصمة الأرجينتينة «بوينس أيرس» مروراً بتشيلي.. ثم بيرو.. وكولومبيا.

تعطلت الدراجة وسط الرحلة..

لم يستسلم المغامران.. مشياً على الأقدام..

تعلقا بشاحنات العمال.. وعربات الشحن المقفلة.. على متن السفن أو النوم في مخافر الشرطة.. وتحت النجوم أو الملاجئ العابرة.

---

(1) صدرت المذكرات فيما بعد تحت عنوان (يوميات دراجة نارية) ترجمها للعربية صلاح صلاح .. ويروي في صفحات الكتاب مواضيع شتى.. كما نُشرت تفاصيل هذه الرحلات تحت عنوان (مرة أخرى أو على الطريق ثانية) 1953 ويتناول الكتاب المراحل الأساسية في هذه الرحلة وتأريخ لكل رحلة.

(2) حوالي 4500 كم.

شاهدا نهر الأمازون[1]..

تاها في الصحراء..

تعرفا على شعوب القارة المنهوبة.

كانت التحولات التي تطرأ على ذهن جيفارا سريعة.. وفيما بعد لم يكتب ملاحظاته بالرؤية التقليدية.. بل كان يحلل ويتساءل.. أيقن مبكراً من خلال تلك الرحلة أن عالمنا يحتاج لبركان يحرك جليد الظلم الإنساني.

الرحلة كانت مليئة بمفارقات غريبة.. بعضها طريفًا مثل محاولاتهم للحصول على المأوى والمأكل.. وبعضها كان كفيلاً بإثناءهما عن مواصلة الرحلة مثل تعطل دراجتهما بشكل لا يمكن إصلاحه في لوس أنجلوس في تشيلي..

فتابع الرفيقان رحلتهما على الأقدام وأحياناً على صهوة الخيول وعلى متن الشاحنات والقوارب.

وبعضها كاد أن يكلف جيفارا حياته مثل علاقته بزوجة ميكانيكي.

وفي رحلته أيضًا تأمل الآثار في ليما[2]..

وشاهد بقايا حضارة الإنكا[3]..

---

(1) نهر الأمازون يقع قي أمريكا الجنوبية. وهو أكبر نهر في العالم من حيث الحجم.. ومن حيث معدل التدفق الذي يفوق معدل تدفق أكبر ثماني أنهار قي العالم الذين يلونه قي الترتيب مجتمعين. يملك الأمازون أكبر حوض تصريف في العالم.. وبذلك يمثل ما يقرب من خمس إجمالى تدفق الأنهار قي العالم. يزداد اتساع أجزاء من الأمازون عن 190 كيلومتر (120 ميل) أثناء موسم الأمطار. ونظرًا لاتساعه يطلق عليه أحيانا البحر النهر. لا يقاطع الأمازون أية جسور.السبب قي ذلك ليس= =اتساعه.. فعرضه مناسب لإمكانيات المهندسين المعاصرين على بناء جسور. إنما السبب أن الجزء الأكبر من مياه النهر تتدفق عبر الغابات الاستوائية المطيرة.. والتي بطبيعتها الطرق بها قليلة وكذلك المدن.. وبالتالى لا حاجة لأية جسور.. في حين أن نهر الأمازون هو أكبر نهر في العالم طبقا لمعظم المقاييس.. إلا أن البيانات الحالية للجمعية الجغرافية تشير إلى أن الأمازون هو ثاني أطول نهر قي العالم بعد نهر النيل. ومع ذلك يجادل بعض العلماء خاصة من البرازيل وبيرو بخصوص ذلك.

(2) ليما هي عاصمة دولة بيرو وأكبر مدنها. هي المركز الثقافي والاقتصادي والصناعي للبلاد ومحور المواصلات فيها. تقع المدينة بين أنهار تشيلون وريماك ولورين. أسسها القائد الإسباني فرانسيسكو بيتزارو عام 1535 وسماها مدينة الملوك وبقيت لثلاث قرون أهم تجمع حضري في قارة أمريكا الجنوبية. يعيش ثلث سكان البلاد في ليما وضواحيها كما يشكل الإنتاج الصناعي للمدينة حوالي ثلثى الاجمال الصناعي للبلاد.

(3) الإنكا (Inca) إمبراطورية قديمة بنتها شعوب من الهنود الحمر في منطقة أمريكا الجنوبية.. وهي ذات حضارة ضاربة في القدم وتشمل أرض الأنكا بوليفيا والبيرو والاكوادور وجزءاً من تشيلي= =والأرجنتين قاموا ببناء عاصمتهم كسكو وهي مدينة مترفة ومليئة بالمعابد والقصور تقع على ارتفاع 11000 قدم فوق مستوى سطح البحر في جبال الانديز وقد أطلق عليها اسم مدينة الشمس المقدسة، تبلغ مساحتها 990000 كيلومتر مربع.. بدايتها كانت على جبال الأنديز في حوالي سنة 1100 م.. واستمرت حتى الغزو الأسباني عام 1532 م. بدت حضارة شعوب الأنكا للناظرين متخلفة في شكلها وطريقة معيشتها ولكنها تركت بصمة عجيبة ومحيرة تلفها الأساطير التي تقول أنهم أتوا من الفضاء الخارجي لروعة الإرث الذي تركوه.. توصل شعب الأنكا إلى بناء دولة العدالة الاجتماعية فقد وضعت الحكومة يدها على الأرض لضمان قوت الشعب.. والذهب والفضة ومعادن أخرى وقطعان الماشية وبخاصة حيوان اللاما الذي يقوم بدور وسيلة المواصلات. وكانت العائلة المقياس الرئيسي في التقسيمات الحكومية.. فلكل مجموعة من عشرة عائلات قائد مسؤول أمام الكابتن الذي يشرف على خمسين عائلة والذي يشارك في الحكم، ولكل عائلة مقدار معين من محصول الأرض.. كما كانوا يحيكون ملابسهم ويصنعون أحذيتهم ويسبكون الذهب والفضة بأنفسهم، وكان العجزة والمرضى والفقراء يلقون رعاية كافية من المجتمع.. كانوا ينتجون محاصيل ممتازة ويشقون السواقي ليجلبوا الماء من المناطق الجبلية لسقاية حقولهم وقد بنوا جسورا مصنوعة من أغصان الكرمة والصفصاف مجدولة بالحبال.. أتقن الإنكيون نسج القطن الناعم بمهارة حتى أن الأسبان عندما غزوهم اعتقدوا بأن نسيجهم مصنوع من الحرير..بعد قرون من الرخاء انقسمت إمبراطوريتهم إلى قسمين فقام الأسبان بغزوهم ودمروا الإمبراطورية.

شعر – كما يقول – بالضئالة أمام عظمة الماضي وبؤس الحاضر.

وخلال مسارهما اصطدما بشكل مباشر بواقع الفقر واللامساوة في بلدان القارة الجنوبية.. وكانت قمة التأثر نابعة من الأسبوع الذي قضياه في مستعمرة لمرضى الجذام.

حيث التقيا مرضى الجذام الذين ينتظرون موتهم بوعي.. قابلاهما وواساهما.. وأصر جيفارا على مصافحة المرضى.. ولأول مرة يشاهدون طبيباً يصافح مجذومين.. ثار عليه الأطباء.. والمحسنون.. ورجال الدين.. فقد تجاوز المحظور. لكنه لم يأبه بكل ذلك .

وكرمه المجذومون إنسانيته.. وشهامته حينما جاء وقت وداعه إياهم.. إذ أقاموا له حفلاً عزفوا فيه بأصابعهم مقطوعة!

وفي رسالة أرسل بها إلى والدته أظهر (جيفارا) اهتمامه البالغ بزيارته إلى (مستعمرة سان بابلو للجذام).. ومدى تأثره بوداع المرضى له في جمال انفعالي واضح واصفاً المشهد بقوله:

(انطلق المرضى على صوت لحن شعبي.. انساقت الحمولة البشرية بعيداً عن الشاطئ.. وأضفت أضواء القناديل الخافتة على الناس سمة الأشباح).

وبالشكل نفسه تعاطف مع مأساة العمال في بيرو وتضامن معهم.

وانتهت الرحلة بافتراق الصـديقين في كاركاس.. فجيفارا نذر نفسـه للشـعوب المقهورة.. والتحق فيما بعد ألبرتو بالثورة الكوبية.. وعاش حياته في كوبا مع زوجته وأطفاله[□].

توجه جيفارا بعدها إلى جواتيمالا[□] حيث كان رئيسـها يقود حكومة يسـارية شـعبية.. كانت من خلال تعديلات – معظمها خاص بالملكية الزراعية – تتجه نحو ثورة اشـتراكيـة.. وتمكنـت الثورة من الإطـاحـة بحكومـة جواتيمالا عـام 1954 بانقلاب عسكري مدعومًا من قبل وكالة المخابرات المركزية.

في عام 1955 قابل جيفارا المناضلة اليسارية«هيلدا أكوستا» من«بيرو» في منفاها في جواتيمالا.. فتزوجها وأنجب منها طفلته الأولى.

ويبدو أن تأثر جيفارا في رحلته إلى بيرو كان كبيراً.. وترك داخله انطباعاً مختلفاً.. حيث يصف هنود بيرو في مذكراته فيقول:

---

(1) مازل على قيد الحياة يعيش هناك في العاصمة الكوبية

(2) جواتيمالا هي دولة في أمريكا الوسطى . كانت مستعمرة أسبانية .. كما كانت قبل الاحتلال الأسباني مقراً لحضارة المايا الهندية الأمريكية .. استعمرها الأسبان سنة 931هـ – 1524 م .. وحصلت على استقلالها في سنة 1237هـ –1821 م .. شـهدت سلسلة من الاضطرابات في عقب استقلالها وتوالت عليها الانقلابات العسكرية بعد ذلك . كانت في بدايات القرن الماضي تمثل أرقى ما توصلت إليه الديمقراطية.. تنتشر المرتفعات في وسطها حيث توجد جبال سيرامادر ..وتكثر بها الزلازل وتنتشر بها السهول الساحلية الضيقة .. والمناخ مداري .. حار رطب .. والأمطار غزيرة في الشرق (3750 مم) .. تنمو بها الغابات المدارية والسفانا .

(هؤلاء الناس الذين يراقبوننا في البلدة هم جنس مهزوم.. نظراتهم وديعة.. لامبالية تماماً بالعالم الخارجي.. يوحي بعضهم بأنه مستمر في العيش لأن ذلك مجرد عادة لا يقدر على التخلص منها).

وكانت هيلدا ذات تأثير كبير في شـــخصـــية جيفارا.. وحياته.. وتعميق تركيبته الثورية.. فهي التي عرفته للمرة الأولى على النظريات والفلسـفة الشـيوعية.. والماركسية.. إضافة للتجارب الثورية لأهم رموزها مثل« لينين»[1] ، و« تروتسكي»[2] و« ماو تسي تونج» [3].

أهمية هذه الرحلة تكمن في أن جيفارا الذي غادر الأرجنتين توقاً إلى المغامرة.. وتعطشـاً للمزيد من المعرفة.. ومقدرته الفائقة على كتابة يومياته بكثير من البلاغة والأمانة.. وهو يجوب أمريكا اللاتينية ويصـور لنا لقطات عن فقر أهلها.. والاستغلال الذي يتعرضون له.. وهو لا يفقد روح الفكاهة والدعابة في يومياته.

وقام جيفارا أيضـاً برحلة إلي الاتحاد السـوفيتي.. وجمهورية ألمانيا الديمقراطية.. وتشكيوسلوفاكيا سابقاً[4].. والصين.

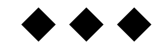
(1) فلاديمير أليتش إليانوف المعروف بـــ (لينين) ولد في 22 ابريل 1870 وتوفي في 21 يناير 1924 .. كان قائد الحزب البلشفي والثورة البلشفية ضد الإمبراطورية الروسية إبّان حكم القياصرة .. كما أسس المذهب اللينيني السياسي .. يُعد لينين أول رئيس للاتحاد السوفييتي .. وهو الذي رفع شعار «الأرض والخبز والسلام».

(2) ليف دافيدوفيتش برونشتاين عرف باسم (ليون تروتسكي) ولد في مقاطعة « خريسون » في أوكرانيا في السابع من أكتوبر عام 1879 وتوفي عام 1940 .. وقبل أن يتخرج من المدرسة الثانوية كان قد انضم إلى حلقة ثورية سرية تابعة للنارودنيين (الشعبيين) .. ثم ما لبث أن اعتنق الماركسية بعد عام من ذلك فانضم إلى الحركة الاشتراكية- الديموقراطية وكان أحد مؤسسي وقادة «الاتحاد العمالي لجنوب روسيا »

(3) ماوتسي تونج هو واحد من أهم شخصيات وزعماء القرن العشرين .. ولد في 20 ديسمبر 1893 .. وتوفي في بكين عام 1976 .. عمل ماو كفلاح أجير منذ صغره .. واستطاع أن يوفق بين عمله= =ودراسته .. ودرس كونفوشيوس .. وأعمال الكتاب الكلاسيكيين الصينيين .. وكان يبدى اهتماماً كبيراً بدراسة تاريخ ثورات الفلاحين .. وكان بطبيعته متمرداً ثائراً .. ففي العاشرة من عمره هرب من بيت والديه .. احتجاجاً على سوء معاملة أستاذه.. وخوفاً من تأنيب والده .. ثم أصبح واحد من الشيوعيين الذين اعتبروا الاتحاد السوفياتي مصدر إلهامهم .. تولى حكم الصين مدة سبع وعشرين سنة .. فطور وغير كل سياسات البلاد الزراعية والصناعية والعسكرية والاجتماعية والفنية .. مازالت تنتشر صوره في كل أنحاء الصين ..آمن الصينيون كباراً وصغاراً بشعاراته وكتاباته التي تعدى تأثيرها الصين إلى العالم كله .. وخصوصاً ما كتبه عن حرب التحرير (الجاريلا) .

(4) جمهورية تشيكوسلوفاكيا تُشكلت كاتحاد بين جمهورية التشيك وجمهورية سلوفاكيا بين أعوام 1918 – 1939 و1945 – 1992. ومن هنا يأتي اسمها.. بعد أن تمكن الجيش السوفياتي من تحريرها من الألمان عام 1945 م إبان الحرب العالمية الثانية (1939 – 1945).. أصبحت تدريجياً تُكون إحدى دول الكتلة الشيوعية في أوروبا.. التي كان الاتحاد السوفياتي يترأسها. على إثر انهيار الاتحاد السوفياتي عام 1991 وظهور خلافات عدة بين الدولتين.. تم الاتفاق على حل الاتحاد بين جمهورية التشيك وجمهورية سلوفاكيا عام 1992 وبذلك انتهت تشيكوسلوفاكيا فعلياً من الوجود. أُعلن قيام كل من جمهورية التشيك وجمهورية سلوفاكيا في العام المقبل.. شهدت تشيكوسلوفاكيا عام 1968 ما يسمي بربيع براغ بعد أن أعلن رئيس الوزراء في ذلك الوقت ألكسندر دوبتشيك تحفظه على سياسات الاتحاد السوفياتي مما حدى بالجيش الأحمر إلى دخول براغ وقمع المظاهرات وإسقاط دوبتشيك.

في هذه الرحلة التى استغرقت من عمره القصير تسعة شهور كاملة سرد جيفارا مشاهدتاه بأدق تفاصيلها.. وكل ما فكر فيه.. وشغل باله حتى بدت تأملاته من أرفع التأملات الفلسفية شأناً.. حتى اشتياقه إلي طبق حساء ساخن.. كل ذلك يتجلى لنا وكأننا نشاركه رحلته.. ونسمع أصوات حفيف أشجار الغابات التى سار بين دروبها.. ويضعنا في أجواء الرحلة بجمالها أحياناً.. وفجاحتها أحياناً أخرى.. ويكشف لنا برؤية أعمق عن حياة ذلك الثائر.. وتفاصيل كثيرة عن شخصيته.. وخلفيته الثقافية.. ومهارته السردية.





الفصل الثالث

بين جيفارا ..
وكاسرو !!

سـافر جيفارا عام 1953 للمكسـيك بعد أن حذرته السـفارة الأرجنتينية من أنه مطلوب من قبل المخابرات المركزية.. لكونه مدرجاً في القائمة السـوداء لتعاطفه مع شـيوعيى جواتيمالا.. وكانت المكسـيك آنذاك هي البلد الأمريكي اللاتيني الأكثر ديموقراطية.. كما كانت أيضاً ملجئاً للثوار الأمريكان اللاتين من كل مكان.

وهناك كما قلنا وأشرنا من قبل تعرف على (هيلدا) التي كان لها مخزون ماركسي ـ جيد مما عزّز تعليمه السّياسي.. فاهتمت به و قدّمته لـ «راؤول كاسترو» شقيق فيديل كاسـترو و(نيكو لوبيزا) أحد ملازمي (فيديل كاسـترو) الذي كان في ذلك الوقت يقوم بالهجوم على قلعة موناكو حيث فشـل هجومه.. واعتُقِلَ.. وحُوكِمَ.. وفي أثناء محاكمته أصـدر بياناً سـياسـياً كان بمثابة برنامج سـياسي يبين أهداف الحركة الثورية لفيديل ورفاقه .

وفيما بعد أصبح « فيدل كاسترو» الذي سيصبح فيما بعد رفيق عمره.. وأسطورة ثورية أخرى.. وكان وقتها راؤول منفياً مع بعض زملائه في الأرجنتين.. وكانوا يجهزون هناك للثورة في كوبا وينتظرون خروج «فيدل» العقل المدبر.. وقائدهم من سجنه في كوبا بعد فشل الانقلاب الذى قامت به جماعته فى 26 يولية 1953 وما أن خرج الأخير عام 1955 من سجنه وأفرج عنه الدكتاتور الكوبى ضمن مجموعة من المعتقلين السـياسـيين بمناسـبة عيد الأم حتى قابل جيفارا وحدثه طويلاً عن بلده كوبا.. وعن مايدور فيها من ظلم واضـطهاد وتجبر الديكتاتور الحاكم المرتبط بشـدة بقوة إسـتعمارية وأصـبح أداتها التى بها تحمى مصـالحها.. والشـعب يرزخ تحت نير الفقر والمرض والظلم والإضطهاد.

أعجب أرنستو بشخصية فيديل بعد مقابلته إياه.. وأدرك جيفارا في ذلك الحين أنه وجد شخصية القائد الذي كان يبحث عنه.. فقويت علاقة الرفيقين.. وترك اللقاء الأول بينهما أثرًا لا يُمحى فى حياة جيفارا .

كان لكل منهما شخصية تناقض شخصية الآخر.. ومع ذلك فقد كانا متكاملان.. فيدل كاسترو من ذلك النوع الذى لا يقنع إلا بأن يكون مركز الاهتمام ومحط الأنظار.. مع تمتعه بشخصية مندفعة.. بينما جيفارا من ذلك النوع الذى يفضل أن يبقى فى موقع المراقب للأحداث.. بينما يظل شاهرًا سيفه.. وكان بجانب ذلك على قدر كبير من العلم.. طلق اللسان إذا دعت الضرورة لأن يهاجم رأيًا مخالفًا ولا يدخر جهدًا فى الدفاع عن قناعاته .

وأثناء ذلك أطلق كاسترو على جيفارا لقب تشي (الصديق أو الرفيق).. وقاما معًا بالتخطيط لتحرير كوبا من حكم الدكتاتور باتيستا.

واتفقا سوياً على أن يقوما بالسفر إلى كوبا لبداية حركة مقاومة.. ومعهم من استطاع كاسترو من إقناعهم بقيمة القضية التى يحاربون من أجلها.

وعاد جيفارا إلى الأرجنتين ليجهز حاله للسفر إلى كوبا.. ومنها مرة أخرى إلى المكسيك لينضم إلى كاسترو ويبدءا معاً رحلة سجلتها كتب تاريخ وعقول فترة الخمسينات والتى يعتبرها البعض فترة ازدهار المد الثورى ضد الأشكال الاستعمارية المختلفة .



انطلق الثائرون ومعهم ثمانين رجلاً على متن سفينة قاصدين شواطئ كوبا.. ودخل الثوار كوبا على ظهر سفينة صغيرة بعض الشيء اسمها «جرانما».. وتسربت المعلومات إلى الجهاز الحاكم فى كوبا آنذاك.. وكانت أجهزة الأمن فى انتظار وصول السفية إلى شواطىء كوبا حتى تجهض محاولة المقاومة قبل نزولها إلى الأراضى الكوبية.. وفعلاً أجهزت القوات الملكية على السفينة وقتلت معظم من كان على متنها.. ولم يتبق منهم في النهاية سوى 20رجلاً فقط [1].. كان من بينهم كاسترو.. وأخوه راءول.. وجيفارا واستطاع هؤلاء النزول من السفينة فى مدينة مانسيجانو الكوبية..ثم صعدوا جبال (السيرامايسترا) وأعادوا ترتيب صفوفهم.. والتوغل داخل الأراضى الكوبية دون أن تطالهم أيدى أجهزة الأمن الكوبية آنذاك.

(1) في بعض المصادر الأخرى كان عدد ما تبقى معهم من رجال عشرة رجال فقط.

وبرغم أن هذا الهجوم يعتبر فاشـــلاً إلا أنه أكســبهم مؤيدين كثيرين خاصـــة في المناطق الريفية انضـــموا إليهم فيما بعد.. ونجحوا في إقناع الفلاحين والفقراء فيها بضرورة الثورة.. والانضمام إليهم.. فأمن ذلك لهم الحماية وإن كانت محدودة وظلت المجموعة تمارس حرب العصـابات لمدة سـنتين وخسرـوا نصـف عددهم في إحدى المعارك مع الجيش .

وبواســطة خطة وضــعها« جيفارا» بمهارة شـــديدة للنزول من جبال ســيرا باتجاه العاصـــمة الكوبية.. تمكن الثوار من دخول العاصـــمة « هافانا» [1] في يناير 1959 على رأس ثلاثمائة مقاتل .

ليكتسح رجال المقاومة برئاسة فيدل كاسترو هافانا نفسها.. ويتمكنوا من إسقاط نظام الحكم الديكتاتوري العسكري لــ« باتيستا».. هذا برغم المساعدة التسليحية الكبيرة التي قدمتها حكومة الولايات المتحدة للديكتاتور الكوبي.. وتمويلهم لحكومته ولعملاء الــــ« C.I.A» [2] الموالين لها داخل صفوف جيش كاسترو الأقل عدداً.. وعتاداً بشكلٍ كبير .

---

(1) هافانا هي العاصـــمة والميناء الرئيسي ـ والمركز التجاري الرئيسي ـ لكوبا وهي واحدة من المقاطعات الكوبية الأربعة عشر ويبلغ عدد سكانها 2.4 مليون نسمة مما يجعل من هافانا أكبر مدينة في كل من كوبا ومنطقة البحر الكاريبي. وتمتد المدينة معظمها غربا وجنوبا من ويمكن دخولها من خلال ممر ضيق يقسم الخليج فيها إلى ثلاثة موانئ رئيسية هي : مارملينا.. جوانابكوا وأتيريس.نهر ألميندايس يخترق المدينة من الجنوب إلى الشمال.

(2) وكالة المخابرات المركزية أو سي آي آيه (Central Intelligence Agency (CIA هي وكالة أمريكية حكومية لجمع المعلو مات عن الحكو مات والأ حداث ا لخارجية والأشـــخاص ومن ثم تحليلها ومعالجتها وتقديمها إلى جهات مختلفة في الحكومة الأمريكية. تقع مقرات الوكالة في مقاطعة فاير فاكس (لانجلى) في ولا ية فرجينيا. ويفصـــلها عن العاصـــمة واشـــنطن نهر الباتماك وبضـــع كيلومترات. تصنف الوكالة على انها فرع من رابطة الا ستخبارات الأمريكية. ويرأس الرابطة رئيس المخابرات الوطنية للولايات المتحدة.

وبدأت المقاومة وكانت ملتهبة جداً وتجتاح كل يوم البلدان الصغيرة فتحيلها ناراً ضد الظلم ولم يلاقي كاسترو ورفاقه أية مقاومة أو فكر مناهض لأفكارهم فالشعب الكوبى كان ينتظرهم مخلصين له ومحررين . إياه من نير العبودية .

كانت كلمات جيفارا قوية شـديدة التأثير فى نفوس الكثيرين وكانت تضر‍ب على أوتار حماسـهم.. وشـعورهم بالظلم الكبير الذى يتعرضـون .. ومن أقوال جيفارا التي ما زال الشعب الكوبي يرددها : « الثورة حمراء كالجمر قوية كالسـنديان عميقة كحبنا الوحشى للوطن».

وفي هذه المعارك المختلفة برز اسـم« تشي ـ جيفارا» كقائد ومقاتل شرس جداً لا يهاب الموت.. وسريع البديهة يحسـن التصر‍ف في الأزمات.. ولم يعد جيفارا مجرد طبيبًا بل أصـبح قائداً برتبة عقيد.. وشريك فيدل كاسـترو في قيادة الثورة.. وقد أشرف كاسترو على استراتيجية تنفيذ المعارك بينما قاد وخطط جيفارا للمعارك.

وفي الوقت الذي برع فيه كاسـترو في إلهاب حماس الجماهير الكوبية بخطاباته النارية التي صنعت له وللثورة شعبيتها.. كان جيفارا يعيد رسم أيديولوجية الثورة على أساس ما آمن به من الفكر الماركسي خاصةً في تطبيقاته اللينينية.

الثورة الاشتراكية المنتصرة

واسـتطاعوا أن يطرحوا ما أصـبح يعرف فيما بعد بالثورة الاشـتراكية المنتصر‍ة الأولى والوحيدة فى الأمريكتين .

وتضخم اسم جيفارا عالمياً فيما بعد على نحو مضطرد متخذًا شكلاً أسطوريًا أخذ يتنامى مع الزمن.. وبدأت صوره.. وكلماته كثائر عالمي تتصدر الصحف العالمية.. وتختها مانشيتات من نوعية:

- جيفارا العملاق يتصدى لليانكيز[1] القوة المسيطرة على العالم.
- جيفارا المعلم الروحى يعلن أن إنسانًا جديدًا.. غير أنانى.. شديد الحب للآخرين.. يجب أن يخلق – قصرًا – على أنقاض الإنسان القديم
- جيفارا الرومانسى يدع الثورة تستمر بشكل سرى – رغم مرضه بالربو – للنضال ضد الظلم والطغيان.

أسعد «ليلة ميلاد» في كوبا

ودخل كاسترو وجيفارا العاصمة الكوبية منتصرين فى ليلة الميلاد المجيد وكأنهم يعلنون أيضاً ميلاد الدولة الجديدة ونجاح الثورة ضد الاضطهاد والتجبر والتسلط والاستعمار.

وبدأ الحال يستقر بالنسبة لكل قوات المقاومة التى وصلت إلى حكم البلاد.. ليبدأ عهد جديد في حياة كوبا بعد انتصار الثورة وإطاحتها بحكم الديكتاتور «باتيستا».

---

(1) تعبير خاص المقصود به الإمبرياليين من أتباع الولايات المتحدة .

وفي تلك الأثناء أ صبح اللقب الر سمي لجيفارا هو «تشي» الأرجنتيني.. وتزوج من زوجته الثانية«إليدا مارش».. وأنجب منها أربعة أبناء بعد أن طلّق زوجته الأولى.



النصب التذكاري الذى يجسد دخول« جيفارا» إلى سانتا كلارا بكوبا



جيفارا أثناء إلقاء خطابه التاريخي في مبني الأمم المتحدة

جيفارا وزيراً

بعد اســتقرار الحكومة الثورية الجديدة.. واعترافاً منه بأفضــاله.. قام« فيدل كاسترو» بإسناد العديد من المناصب الحكومية الهامة لرفيق دربه «جيفارا».. فتولى

« جيفارا» المناصب التالية:

- مندوب« كوبا» لدى الهيئات الدولية الكبرى.
- منظم الميليشيات العسكرية الثورية .
- رئيس البنك المركزي.
- مسئول التخطيط .
- وزير الصناعة.

وآمن تشي منذ البداية بضرورة إعادة هيكلة النظام الاقتصــادي لكوبا.. وفتح المصــانع وذلك لســد احتياجات كوبا وعدم لجوئها وخضــوعها تحت الهيمنة الإمبريالية.. وخلال فترة عمله الحكومي مع«كوبا» قام بالتصــدي بكل قوة لتدخلات الولايات المتحدة.. فقرر تأميم جميع مصالح الدولة بالاتفاق مع كاسترو.

فردت الولايات المتحدة بتشديد الحصار التجاري.. والاقتصادي على كوبا.

وهو ما جعل الحكومة الكوبية تتجه تدريجياً نحو موالاة الاتحاد السوفيتي.. كما أعلنت عن مساندتها لحركات التحرير في كل من تشيلي.. وفيتنام.. والجزائر.

ووضحت معالم شخصية تشي الماركسية اللينينية وتوجهه نحو سياسة (ماوتسي بونج) وآمن بأن ترسيخ الثورة.. ودعمها يحضَران في الريف.. ومن ثم ينطلق الاستقرار إلى المدن وخالف بذلك سيا سة رفيقه فيديل الذي كان يميل للسيا سة الشيوعية الرو سية في تلك الفترة.



■ جيفارا .. قديس الثورة .. وأمير الثوار

الفصل الرابع

Zapata □
أو عملية خليج الخنازير (*)

◆◆◆

(*) بالإنجليزية: Pigs Invasionof Bay.

بعد استتباب الأمر لكاسترو لم يكن من الطبيعي أن تتقبل الولايات المتحدة الأمر هكذا .. وبكل سهولة فأعدت عدتها لما عُرف بعملية خليج الخنازير وكانت محاولة فاشلة من جانب القوات التي دربتها وكالة المخابرات المركزية من الكوبيين المنفيين لغزو جنوب كوبا و قلب النظام على فيدل كاسترو.

بداية التخطيط لتلك الحادثة كان.. في 17 مارس 1960.. عندما وافق الرئيس الأميركي دوايت أيزنهاور علي اقتراح CIA بدعم المعارضة الكوبية ضد النظام الشيوعي الجديد في كوبا بزعامة كاسترو.. ويبدو أن الأمريكيين رفعوا من سقف توقعاتهم بخصوص نجاح المعارضة في ذلك نظراً لتجاربهم السابقة في ذلك.

قاموا بتدريب قوات المعارضة الكوبية بجواتيمالا وتم تشكيل ما يسمي باللواء الخاصة لتنفيذ العملية.. وتم إعطاء اسم كودي للعملية هو Zapata.. وكلف مدير Cia ألن دالاس بتولي مسئولية العملية.. ولكن أنباء تلك الخطة وصلت إلي الكوبيين عن طريق شبكة عملائهم السرية والـKGB.

وكانت العملية تقوم على إنزال قوات الكوماندوز التابعة لـ C.I.A وهي قوات مشكلة من المرتزقة المأجورين ومن العناصر المضادة للثورة الشعبية في كوبا وقد تم تدريب هذه العناصر على أيدي C.I.A في غواتيمالا.. وكانت هذه العملية تقوم على إنزال عدد كبير من الجنود في ترينيداد في الصباح الباكر.. ولكن جرى تعديل على هذه الخطة ليتم الإنزال في خليج كوتشينوس غربي ترينيداد ليلاً بسبب أن خليج كوتشينوس أقل تعداداً للسكان وأصغر مساحة من ترينيداد وأن المنطقة ملائمة أكثر لعمليات الإنزال.. وبحسب تصريحات قادة الـ C.I.A فإن أعداداً كبيرة من المواطنين الكوبيين كانوا سيقدمون الدعم لقوات المرتزقة الأمريكية وأن دعم العملية سيأتي من الداخل والخارج على حد سواء.

وكان سـيناريو العملية يقوم على البدء بضربـب أهم القواعد الجوية الكوبية قبل يومين من عملية الإنزال بطائرات تحمل إشـارة الطيران الحربي الكوبي ويقود ها طيارون كوبيون.. وتوجه ضربة ثالثة لهذه القواعد الجوية في صـبيحة يوم الإنزال.. بهدف شل حركة الطيران الكوبي وتمهيد الطريق للتدخل.. ومن ثم ضرب الجسور البرية والحديدية في هافانا والمناطق المجاورة.. فضلـت أمريكا في تلك الفترة البقاء بعيدة عن أضـواء العملية.. والتظاهر بأن العملية منظمة من قبل القوات المسـلحة الكوبية وليست بتوجيه من الخارج.

الهجوم

- 15 أبريل

انطلقت الطائرات من القاعدة الجوية الأمريكية في نيكاراغوا. في 15 أبريل وبدأ الهجوم السـابق للإنزال بالقاذفات الأمريكية (ب 26) على مطارات كوبا وأحياء الهافانا و سانتياغو والعديد من المناطق المجاورة.. بدت الغارة الأولى وكأنها نجحت في تحقيق هدفها كما ظن قادة العملية.. ولكن في الحقيقة قبيل العملية كانت قيادة الجيش الثوري في كوبا قد غيرت مواقع العديد من الطائرات إلى مطارات احتياطية.

رغم أن الطياريَن الذَين قاما بالغارة الأولى قد نفذا الخطة كما رُسـمت لهما فبعد الغارة عادا إلى مطاري (كي ويست.. في ميامي) والإدعاء بأنهما قد هربا من القوات الحربية الجوية الكوبية.. وانضما إلى القوى المعادية للثورة.

- 17 ابريل

ورغم إخفاق العملية في أولى غاراتها إلا أن الرئيس الأمريكي كينيدي لم يلغ خطة الإنزال بل أصـــدر قراراً بإلغاء الغارة الثانية (قبيل الإنزال).. بدأ الإنزال من السـفن المتواجدة على شـواطئ كوبا وهي: (هيوسـتون.. ليك تشـارلز.. ريو ايسكونديدو.. كاريبه.. اتلانتيكو).. بدأ الإنزال ليلاً واستمر حتى فجر 17 ابريل.. بعد إنجاز الإنزال انتشر المئات من المرتزقة على الشواطئ واتجهوا إلى الداخل حيث كان لهم بالمرصـاد الميليشـيات الشـعبية التي قاومت بعنف في محاولة لمنع هذه المجموعات من التقدم.. وكسب الوقت لحين قدوم قوات الجيش الثوري.

قامت 4 طائرات نقل بحمل 1511 من عناصر المعارضـة الكوبية (اللواء 2506) المدربين جيداً وتم إنزالهم في خليج الخنازير علي السـاحل الجنوبي لكوبا.. وكان بحوزتهم طائرتان تحملان تجهيزات وتعيينات للعملية.

بعد ساعتين من الإنزال.. قامت 5 طائرات C-46 و طائرة C-45 بإبرار 177 مظلي من اللواء 2506 بمنطقة Horquita.. وفي الوقت نفسـه.. تم إنزال مجموعة أخرى إلي منطقـة Giron لضـمان السـيطرة علي الطريق من San Blas حتي Giron. تمكنت مجموعات التدخل من التغلغل لعدة كيلومترات داخل الجزيرة واسـتطاعت هذه المجموعات السـيطرة على عدد من المواقع الهامة على الجزيرة.. ولكن سرعة ودقة القيادة الرئيسـية للقوات المسـلحة الثورية في كوبا كانت أقوى إذ اسـتطاعت إيقاف تقدم المرتزقة الأمريكان والاسـتيلاء على المواقع المحتلة من قِبل هذه المجموعات.

- 18 أبريل

ويوم الهجوم.. 18 أبريل.. تم شـن غارات جوية من 6 طائرات B-26 ضـد مواقع الميليشـيا الكوبية واسـتخدمت خلالها القنابل والصـواريخ والنابالم وأحدثت إصابات عديدة تقرب من 1800 إصابة.

وفي السـاعة 8 صـباحا.. كانت قدرات الميليشـيا الكوبية تتزايد.. وتتدفق عليهم المدفعية والدبابات.. وعانت قوات اللواء 2506 من إصـابات جسـيمة وذلك أثناء محاولات الميليشيا الكوبية زحزحتهم نحو الشاطئ ..

- 19 أبريل

في يوم الهجوم في 19 أبريل.. تم القيام بآخر الغارات الجوية وسـميت Mad Dog Flight من 4 طائرات B-26.. ولكن الكوبيون أسـقطوا طائرتين B-26 وقتل 4 أمريكيين بسـبب ذلك.. وتم إسـقاط طائرة B-26 أخرى في منطقة Giron.. وأخلت إحدي الطائرات C-46 طيار تلك الطائرة المحطمة الذي يدعي Matias Farias .

ومع ظروف غياب الدعم الجوي.. ونفاذ الذخيرة.. انسـحبت قوات اللواء 2506 إلي الشاطئ.. وقامت سفن الدعم القريبة من الشاطئ بمحاولة إخلاء تلك القوات إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك.. وانتهت بذلك عملية خليج الخنازير بالفشـل الذريع. هكذا فشلت عملية خليج كوتشينوس (أو خليج الخنازير) فشلاً ذريعاً

وكان من نتيجة هذه العملية نجاح الجيش الثوري الكوبي في أسر 1179 شخصاً من مجموعات الإنزال واستولى على خمس دبابات ثقيلة (شيرمان) وعشرات من الأسلحة الفردية وثمانية رشاشات ثقيلة والكثير من الرشاشات والأسلحة المضادة للطائرات وعشر سيارات نقل عسكرية وتم إغراق أربع سفن وإسقاط 12 طائرة قاذفة.. وبالتحقيق مع الأسرى تبين أنهم جميعاً من أنصار باتيستا وأنهم جميعاً قد صرحوا بأن الاستخبارات الأمريكية قد دربتهم.. وكان لفشل العملية صدمة حقيقية للقيادة الأمريكية.. وللرئيس الأمريكي جون كينيدي ذاته.



■ جيفارا .. قديس الثورة .. وأمير الثوار

الفصل الخامس

مشروع جيفارا الثوري !!

أين اختفى جيفارا

بعد نجاح الثورة في كوبا لم يرتح جيفارا للحياة السياسية المستقرة.. البعيدة عن ساحات المعارك ..وآثر تشي- أن يكمل حلمه في تحرير شعوب العالم النامي.. ومساعدتهم بالتخلص من الحكم الاستعماري والهيمنة الإمبريالية.

عرض الأمر على كاسترو.. والرفاق.. لكن فكرته لم تلق صدى واسعاً لديهم.. وأصر جيفارا على موقفه.. وتنكر في زي رجل أعمال ثري.. لينطلق في رحلة طويلة سافر فيها من بلد إلى آخر ليواجه المصاعب تلو الأخرى.

واختفى.. وبدأت حملات مطاردته من جانب المخابرات الأمريكية التي فشلت تماماً في تعقبه.. أو حتى تحديد مكانه.. فعملت على نشر أخبار كثيرة عن مقتله لكي يرد.. لعل رده يحدد مكانه لكنه لم يرد.. ونشرت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية شائعات تدعي فيها اختفاء إرنستو تشي- جيفارا في ظروف غامضة.. ومقتله على يد زميله في النضال القائد الكوبي فيدل كاسترو.. مما اضطر الزعيم الكوبي للكشف عن الغموض الذي اكتنف اختفائه من الجزيرة للشعب الكوبي فأدلى بخطابه الشهير الذي ورد في بعض أجزائه ما يلي:

« لديَّ هنا رسالة كتبت بخط اليد.. من الرفيق إرنستو جيفارا يقول فيها.. أشعر أني أتممت ما لدي من واجبات تربطني بالثورة الكوبية على أرضها.. لهذا استودعك.. واستودع الرفاق.. واستودع شعبك الذي أصبح شعبي.. واتقدم رسمياً باستقالتي من قيادة الحزب.. ومن منصبي كوزير.. ومن رتبة القائد.. ومن جنسيتي الكوبية.. فلم يعد يربطني شيء قانوني بكوبا» .

وثبت فيما بعد أن هذه الرسالة أرسلها« جيفارا» إلى كاسترو في أكتوبر 1965 إلا أنه لم يفته في الرسالة أن يشير لما أسماه بروابط طبيعية أخرى لا يمكن القضاء عليها بالأوراق الرسـمية.. كما عبر عن حبه العميق لكاسـترو ولكوبا.. وحنينه لأيام النضال المشترك.

جيفارا.. والبحث عن قضية أخرى

أكدت الرسالة السابقة إصرار جيفارا على عدم العودة إلى كوبا بصفة رسمية.. بل كثائر يبحث عن ملاذ آمن بين الحين والآخر.. وأخذ الثائر فيه يبحث عن قضـية عالمية أخرى.

جيفارا في الكونغو

كان جيفارا قد غادر كوبا تاركاً مناصـبه وعائلته متجهاً إلى الكونغو في إفريقيا.. وسعى جيفارا لإقامة مجموعات حرب عصابات هناك..

ذهب«تشي» لأفريقيا مسانداً للثورات التحررية.. قائدًا لـ 125 كوبيا.. ولكن فشـلت التجربة الأفريقية لأسـباب عديدة.. منها عدم تعاون رؤوس الثورة الأفارقة.. واختلاف المناخ واللغة.. ورفض الشعب الإفريقي التعاون معه لاعتباره غريباً ولم يقتنعوا بأهدافه فكانت تجربة قاسـية له ولكنه آثر إلا أن يكمل مسـيرته فانطلق .

وانتهى الأمر بـــ«تشي» في أحد المستشفيات في براج للنقاهة.. وزاره كاسترو بنفسه هناك يرجوه للعودة.. لكنه بقي في زائير[1] محارباً بجانب قائد ثورة الكونغو باتريس لومومبا[2] .

لكنه فجأة ظهر في بوليفيا قائدا لثورة جديدة.. واستطاع هناك أن يكون فرقا ثورية من الفلاحين والعمال والبدء بالثورة إلا أنه لم يستطع مواجهة الجيش البوليفي الذي كان أقوى.. أحدث تجهيزًا.. من جيش باتيستا.. وغير ذلك مساعدة النظام الإمبريالي الأمريكي للحكومة البوليفية فكان الأمر شاقاً عليه .

(1) حالياً جمهورية الكونغو الديمقراطية.

(2) يعتبر باتريس لومومبا رمزاً للتحرر الافريقي .. والرجل الذي قاد الكونغو إلى الاستقلال ثم قتل غدراً .. تتفق آراء الخبراء ان بلجيكا التي أنهت قرناً كاملاً من الحكم الاستعماري في الكونغو في 30يونيو 1960 تآمرت للإطاحة برئيس الوزراء الوحيد المنتخب ديمقراطياً في الكونغو .. ويصر= =البعض على أن بعض رجال النخبة .. وبينهم الملك بودوان .. هم المسؤولون مباشرة عن إعدامه.. وقد أضاف جاك براسين الخبير البلجيكي الرئيسي في الأحداث التي توالت حتى اغتيال لومومبا .. حبكة جديدة إلى الجدال .. فهو يقول أنه فيما لعب ضباط بلجيكيون دوراً معيناً فإن الرجل الذي أصدر الأمر مباشرة بالقتل هو » جودوفروا مونونجو » وزير داخلية كاتانجا .. المقاطعة الغنية بالنفط التي حاولت الانفصال عن الكونغو بعد الاستقلال.. وفي العام 2001 أعلن بشكل غير رسمي أن السلطات البلجيكية تتحمل مسؤولية مقتل لومومبا لعزمه على تأميم شركات المناجم الغربية الكبرى في مقاطعة كاتانجا في جنوب الكونغو.. وفيما بعد أثبت التحقيق انه بعد أن أطاح الجنرال » جوزيف موبوتو » بـــ « لومومبا » في انقلاب في 4سبتمبر 1960زج بلومومبا في السجن في العاصمة كينشاسا .. وفي 17يناير 1961قام مسؤولون بلجيكيون بنقل لومومبا واثنين من وزرائه بالطائرة إلى كاتنجا.. وبعد أقل من خمس ساعات من وصول السجناء تم إعدامهم بالرشاشات.. وتقطيع الجثث إذابتها بالأسيد وجرى سحق العظام المتبقية.

ولم يوثق هذه المرحلة سوى رسائله لــ« فيديل كاسترو» الذي لم ينقطع الاتصال معه حتى أيامه الأخيرة.

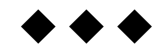
لم يكن مشروع«تشي» الثوري هو مجرد خلق حركة ثورية مسلحة في هنا.. أو هناك فقط.. إنما كان مشروعه الأهم.. والأكبر هو التحضير لمد صفوف الحركات التحررية في أمريكا اللاتينية كلها لمجابهة النزعة الأمريكية المستغلة لثروات دول القارة.

كما اتسمت شخصية تشي السياسية بأن لها منطلقاتها ووجهة نظرها الخاصة.. ففى حين كان يرفض الإمبريالية الأمريكة كلياً.. كانت له في نفس الوقت مواقفه الرافضة للهيمنة السوفيتية على الثورة الكوبية والتي كانت تميل إلى مهادنة النظام الامبريالي فكان يؤكد مراراً على ضرورة الثورة ضد الهيمنة والاستغلال وكان يرد باستمرار عبارته الشهيرة: (لا حياة خارج الثورة ولتوجد فيتنام ثانية وثالثة وأكثر).

ولعل سر سحر شخصية تشي يرجع إلى تلك المواقف وأسلوبه القوي وعناده ورفضه للهيمنة حتى لو كانت من مؤسسة شيوعية كالاتحاد السوفيتي.. مهما كان فقد كان تشي الشخصية الأكثر إثارة ومحبة في قلوب الشعوب المضطهدة حول العالم.

ومنذ بدايات عام 1967 وجد جيفارا نفســه مع ما تبقى من مقاتليه الأصــليين الذين صــاحبوه في بداية رحلته من كوبا وعددهم عشرــين فقط.. وحيداً يواجه وحدات الجيش المدججة بالســلاح التابعة للمخابرات الأمريكية في براري بوليفيا الاستوائية.

وأراد جيفارا أن يتريث قليلاً لبعض الوقت في حشــد القوى والعمل على تجنيد الفلاحين والهنود الحمر من حوله.. ولكنه أجبر على خوض المعارك مبكراً.. قائداً لقلة من المحاربين آمنوا معه بأهدافه.. وعملوا معه علي تحقيقها.. خلال الفترة الواقعة من 7 نوفمبر 1966 إلى 7 أكتوبر 1967.





■ جيفارا .. قديس الثورة .. وأمير الثوار

الفصل السادس

وسقط الأسطورة !!

◆◆◆

أثناء محاولته لتنظيم الثورة على الحكو مة في بوليفيا.. تمت عملية القبض على جيفارا بالتنسيق مع المخابرات الأمريكية وذلك بحشد أكثر من 2500 جندي لهذا الغرض..

فكيف جاءت أحداث النهاية؟

البداية كانت إلقاء القبض على اثنين من مراسلي الثوار.. اعترفوا تحت قسوة التعذيب أن جيفارا هو قائد الثوار في بوليفيا.. فانتشر آلاف الجنود لتمشيط المناطق الوعرة بحثاً عن أربعين رجلاً.. ضعيفاً.. وجائعاً.. هم كل من تبقى من الرجال مع جيفارا.. كان قد مضى عليهم أربعة أشهر متفرقين عن بعضهم في الأدغال.

وبدأت المرحلة الأخيرة من المطاردة التي استمرت أكثر من سنتين.. واستعملت الولايات المتحدة مختلف الوسائل للقضاء على موجة حرب العصابات التي يقودها «تشي» جيفارا .

وفي إبريل 1967 كانت السلطات البوليفية قد تمكنت من إلقاء القبض على المفكر الفرنسي- الماركسي- ريجيس دوبريه.. واتهمته بالتعاون مع جيفارا وأنصاره.. وسجنته وعذبته لتنتزع منه اعترافًا بمكان جيفارا .

وبعد ذلك بفترة قصيرة.. أعلن رئيس الجمهورية البوليفية الجنرال رونيه بارينتوس بأنه واثق هذه المرة من القبض على جيفارا حيًا أو ميتًا. ولم يكن بارينتوس يعتمد في عملية مطاردة واصطياد جيفارا على رجاله وحدهم.. ولا على بعض رجال العصابات الذين تخلوا عن جيفارا وحاولوا الكشف عن مكانه.. بل كان يعتمد على قوات متخصصة في حرب العصابات والتصدي للثوار بوسائل علمية مدروسة دقيقة .

ففي باناما.. أنشأت وزارة الدفاع الأمريكية سنة 1949 مدرسة حربية وسلمتها للجنرال بورتر . وفي هذه المدرسة كان يتدرب جنود أمريكيون من مختلف أنحاء امريكا الجنوبية والشمالية.. على يد ضباط يمتازون بكفاءة علمية عالية.. ويتخرجون متخصصين بالحرب في مناطق أمريكا اللاتينية الصعبة الشائكة.. لكن هذه المدرسة أدخلت في السنوات الأخيرة فصلاً جديدا على منهاجها.. وهو تدريب الجنود على أصول وأساليب حرب العصابات.. لمواجهة موجات الثوار في أمريكا اللاتينية . واستمر التدريب أربعين أسبوعًا.. يخضع خلالها الجنود لأشد وأقسى أنواع التدريب العسكري.. موضوعون في الظروف نفسها التي سيتعرضون لها حين يواجهون رجال العصابات في الجبال والغابات .

وأصبح فيما بعد هؤلاء الجنود.. المدربون على أيدي القبعات الخضر – وهو اللقب الذي يطلق على مدرسة باناما – هم الذين يطاردون جيفارا.. وينصبون له الفخ تلو الفخ.. لايقاعه والقضاء عليه. واستمرت هذه العملية شهورًا.. حتى جاء الخريف.. وأطل شهر أكتوبر.. فإذا بالجنرال بارينتوس يعلن للصحافيين أن القوات المسلحة.. وهو يقصد فيها القوات التي تدربت في مدرسة باناما.. تحاصر جماعة من رجال العصابات وعلى رأسها القائد رامون وهو أحد أسماء جيفارا المستعارة. وقال بارينتوس هذه المرة سوف نقبض على «تشي» ولن يستطيع أن يهرب منا ». لكن القوات لم تستطع أن تقبض الا على ثائرين من رجال « رامون » اعترفا بأن تشي هو فعلا قائدهما وأنه موجود في مكان ما بالقرب من منطقة (فاليغراندي) .و قال الرجلان بأن مرض الربو قد اشتد على جيفارا..

ولم يعد يستطيع التنفس الا بصعوبة.. وأنه لا يتحرك إلا على ظهر بغل.. وهو لا يهتم بشيء.. ويظهر احتقارًا بالغا لحياته. وبعد أيام من القبض على الرجلين.. وفي مساء يوم الأحد 8 اكتوبر.. دارت معركة طاحنة بين القوات المسلحة وبين رجال العصابات في منطقة (هيجو براس) بالقرب من فالنج راندي واستبسل الثوار.. وفي النهاية أُسر ستة من رجالهم.. وبينهم تشي جيفارا.

أزمات ربو حادة

إذن كان بلا شك تعرض جيفارا إلى أزمات ربو حادة.. هو السبب الرئيسي في تسهيل البحث عنه ومطاردته.

في يوم 8 أكتوبر 1967 وفي أحد وديان بوليفيا الضيقة هاجمت قوات الجيش البوليفي المكونة من 1500 فرد مجموعة جيفارا المكونة من 16 فرداً.

وظل جيفارا ورفاقه يقاتلون 6 ساعات كاملة وهو شيء نادر الحدوث في حرب العصابات في منطقة صخرية ووعرة مثل تلك.. مما جعل حتى الاتصال فيما بينهم شبه مستحيل.

واستمر«تشي» في القتال حتى بعد موت جميع أفراد المجموعة رغم إصابته بجروح في ساقه.. إلى أن دُمّرت تماماً بندقيته (م-2) و سقطت منه خزانة مسدسه.. وهو ما فسر فيما بعد وقوعه في الأسر حياً.. فلو كان معه طلقة رصاص واحدة لكان قد أنهى بها حياته قبل وقوعه في الأسر.. وفي لحظة وجد القوات البوليفية فوق رأسه.. تحاصره في الوادي الضيق من كل مكان.

آخر 24 ساعة في حياة جيفارا

نُقل«تشي» إلى قرية «لا هيجيرا» وبقي هناك حياً لمدة 24 ساعة.. ورفض خلالها أن يتبادل كلمة واحدة مع من أسروه من القوات البوليفية العاملة تحت إمرة تعليمات من واشنطن.

وفي اليوم التالي.. وفي مدرسة القرية استعد ضابط صف يدعى«ماريو تيران» لتنفيذ تعليمات قواده «ميجيل أيوروا» و«أندريس سيلنيش» وبدأ يجهز نفسه لتنفيذ الحكم على الأسطورة.. وكان ذلك يوم 9 أكتوبر من عام 1967 في غابة « فالي جراندي» ببوليفيا.

ثبات الأبطال

دخل ماريو على جيفارا متردداً فقال له البطل الأسير :

« أطلق النار.. لا تخف.. إنك ببساطة ستقتل مجرد رجل»

لكن كان ماريو مازال متردداً.. فقال جيفارا يحدث نفسه بصوتٍ عالٍ:

«أشعر بالأسى لأنني أموت قبل أن أقدم كل ما في نفسي».

وبشكل نهائي تراجع الضابط في محاولته الأولى.. ثم عاد مرة أخرى بعد أن كرر الضابطان الأوامر له.. فأخذ يطلق الرصاص من أعلى إلى أسفل تحت الخصر حيث كانت الأوامر واضحة بعدم توجيه النيران إلى القلب أو الرأس

حتى تطول فترة احتضاره.. إلى أن قام رقيب ثمل بإطلاق رصاصه من مسدسه في الجانب الأيسر ـ فأنهى حياته.. بعدها تم بُتر يدي« جيفارا» من أجل التعرُّف على بصمات يديه.. ورفضت السلطات البوليفية وقتها تسليم جثته لأخيه.. أو حتى تعريف أحد بمكانه أو بمقبرته حتى لا تكون مزاراً للثوار من كل أنحاء العالم.

ودُفِنَ في قبر مجهول مع جثامين عدد من المقاتلين.. وفي عام 1997 أُعِيدَّ رفاته إلى كوبا.. حيث وضع في نصب تذكاري في مدينةسانتا كلارا.

وهكذا أُسدِلَ الستار على حياة جيفارا في التاسع من أكتوبر سنة 1967

روايات أخرى مختلفة عن وفاته

هناك روايات أخرى مختلفة قليلاً عن أحداث الوفاة وتقول بعض الروايات البوليفية خاصةً رواية القائد الأعلى للقوات البوليفية الجنرال الفريدو اوفاندو.. أن جيفارا قال قبل وفاته.. وهو في ساعات احتضاره الأخيرة: « أنا تشي- جيفارا. لقد فشلت ». لكن الكولونيل سانديكو.. وهو الذي قاد الحملة المسلحة ضد جيفارا وثواره.. ذكر أن تشي ظل فاقدًا وعيه حتى مات.

وهناك رواية أخرى.. نسبتها إحدى الصحف البوليفية إلى بعض الضباط الذين طاردوا تشي ـ جيفارا.. تقول أن جيفارا أُسِرَ حيًّا.. وحاول الطبيب معالجته من الجروح التي أصيب بها لكن الألم كان شديداً عليه.. ومرض الربو كان يمنعه من التنفس إلا بصعوبة.

وقضى ـ ليلة الأحد في حالة نزاع شـديد.. يئن من الأوجاع والزفير.. يطلب من الطبيب أن يعالجه.. حتى قضى ـ عليه الألم في صباح الاثنين بعد أن خارت قواه تماما وعجز الطبيب عن إسعافه.

ورواية أخرى تقول أن جيفارا تعرض للتعذيب بعد إلقاء القبض عليه.. لكنه لم يعترف بشيء فقتله أحد الضباط برصاصة سُدِدَت إلى قلبه.

وتقول هذه الرواية :

فى إحدى الليالى الشـتوية وفى غابة كثيفة من الأشـجار حاصرت قوات الجيش البوليفى الموالى للحاكم الفصـيلة الجيفارية التى يقودها جيفارا والذي تم إلقاء القبض عليه جريحاً وكانت الأوامر تقضى بأن يتم الحفاظ عليه حياً ولا يشترط عدم التعذيب فقام الضباط الذين يحرسونه بالضرب بكل مايملكونه من أدوات حتى أن أحدهم من السادية بأن أطلق رصاص مسدسه على الجزء السفلى لجيفارا وتركه يعانى من نار الآلام وعندما شعر الجنود بالانتصار على من أذاقهم مرارة الإهانات احتفلوا ولعبت الخمر برأس أحد الضـباط فدخل على جيفارا وهو ملقى فى زنزانته وأطلق علي رأسه رصاصة وفاضت روح جيفارا صاعدة إلى السماء

الصديق الخائن

وكما تعددت روايات مقتله.. تعددت أيضًـا الروايات حول طريقة تعقبه وإلقاء القبض عليه. ومن هذه الروايات ولعلها الأقرب إلى الصـحة.. أن أحد رجال العصابات.. من رفاق « تشي » القدامى.. وشى به إلى السلطات البوليفية بعد أن أغرته الجائزة التي خصصتها هذه السلطات للقبض عليه.. وهي في حدود خمسة آلاف دولار .

وكان مؤلماً حقاً أن تشي الذي آمن طوال حياته بالأخوة الحقيقية والصـداقة والإخلاص والتضحية بين البشرية.. وعاش عليها.. تنتهي حياته بأن يبيعه رفيق سلاح قديم.. ليبقى للأسف الحال أقوى من القيم والمبادئ التي يمثلها جيفارا أو يدعو إليها.

ولم تصدق عائلة تشي أنه مات.. فظلوا ينتظرون بين اللحظة والأخرى أن يحمل إليهم البريد.. أو صديق من الأصدقاء.. رسالة منه.. يعلن فيها للعالم أنه ما زال حياً.. ويسخر.. كعادته من الموت.

نتيجة عكسية

ودون النظر لحرمة الموتى.. والموت.. قام الإعلام الأميركى آنذاك بتصوير جثة جيفارا.. وتمريرها لكل أنواع وسائل النشر العالمية فى ذلك الوقت ظانين أنهم بهذا قد أذاعوا خبر انتصارهم عليه.. وإنتهاء عصر وأسطورة جيفارا.. ولكن هيهات أن تضيع كلمات وحياة جيفارا هباءاً.. فكانت أن ألهمت قصته وأقواله..

وحياته الكثيرين من الثورات ضد الاستعمار فى البلدان المختلفة.. وأصبح جيفارا رمزاً وعلامة على كل أنواع الوقوف ضد الظلم والثورة ضد الأوضاع المغلوطة والمقلوبة وغير العادلة وأتت عملية نشر صورة جثة جيفارا أثراً عكسياً على مغتاليه فلقد ألهبت حماس الكل عمقت الإحساس الاشمئزاز من الطغيان والظلم والاضطهاد.

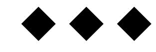
تناقض الروايات

الروايات المختلفة بالشكل السابق ذكره متناقضة في أشياء كثيرة.. ومتفقة في أخرى أهمها أن الشىء الوحيد المحقق فى قصة مقتل جيفارا هى أنه قتل بواسطة عملاء للجيش البوليفى.. بينما لا زال الدور الكامل الذى لعبته الولايات المتحدة فى الدعم السرى لهم غير واضح بدرجة كافية.

عموماً هناك رواية جديدة نُشِرت مؤخراً تقول فى عام 1997 تم العثور على بقايا فى بوليفيا نسبت إلي جيفارا (هيكله العظمى بدون اليدين) مقيدة إلى من يعتقد أنهم رجال عصابات فى إحدى المقابر الجماعية .

أزمة مذكراته

وبعد إعلان مقتل جيفارا رسميًا نشبّت أزمة كبيرة سُميت بأزمة «كلمات جيفارا» أي مذكراته.. لكن عمومًا تم نشر هذه المذكرات بعد اغتياله بخمسة أعوام.. وصار جيفارا رمزاً من رموز الثوار على الظلم.





■ جيفارا .. قديس الثورة .. وأمير الثوار

الفصل السابع

وقفة خاصة مع بعض كتابات وخطب جيفارا

هذا الطبيب المغاور.. المغامر.. الذي أقنعه فيدل كاسترو.. في ليلة باردة من ليالي المكسيك.. بأن يرافقه لتحرير بلاده.. ولم يكن مجرد تكليف عسكري ثوري نجح المُكلفُ به في إثبات ذاته. وكفاءته في تحقيقه.. بل أثبت أنه كفؤٌ لما هو أكبر من هذا.. فالحروب .. تموت .. لكن التنظيم الثوري لا يموت.. ويبقى دائمًا في ذاكرة التاريخ .

النظرية من رحم التطبيق

فجيفارا يكاد يكون هو الأوحد تاريخياً الذى خلق النظرية من رحم التطبيق وليس العكس.. بمعنى أنه استطاع أن يحول الممارسة العملية إلى نظرية.

فهو أول من استعمل اليوم ما يعرف بأسلوب حرب العصابات..أو «حرب الغوار» كما يسميها في مؤلفاته.. وهى نمط من الحرب الثورية الشعبية يؤلف الثوار فيها فرقاً صغيرة نسبياً.. يكون شكل عملها الرئيسي هو شن الغارات المتكررة على قوات العدو لإبادته شيئاً فشيئاً. وهي الشكل الرئيسي للحرب في المرحلة الأولى من الحرب الشعبية الثورية التي خاضها في كوبا.

وهو الذي أوكل إليه فيدل بعد تسلم السلطة مراكز رئيسية في الحكومة.. فأجاد فيها جميعها.. ثم زهد في كل المناصب.. وآثر أن يحمل سلاحه.. ويمضى باحثاً عن الثورة في مكانٍ آخر.

فعندما تولى رئاسة البنك الوطني.. استطاع أن يدخل الاستقرار على الوضع الاقتصادي الخطير لكوبا.

ثم تولى وزارة الصناعة المكلفة بتنسيق وتكبير الصناعة التي أُمِمَتْ فجأة في بلد قليل التنمية.

واستطاع التصدى لمشكلات اقتصادية ملموسة في سبيل إنجاز هذه المهام الجديدة وخرج منها جميعًا أيضاً ظافراً.

وبتاريخ 28 يوليو 1960 في مؤتمر الشبيبة المنعقد في هافانا وقف جيفارا يتحدث عن نتائج ثورة كوبا.. فقال:

«إذا سُئِلتُ ما إذا كانت هذه الثورة ثورة شيوعية.. فسأقول إن هذه الثورة.. إذا ما صارت ماركسية فلأنها اكتشفت أيضاً.. بأساليبها الخاصة.. الطرق التي أشار إليها ماركس»

كان جيفارا يقصد القول بأنه وإن كانت ثورتهم ذات صبغة ماركسية.. إلا أنها لها تطبيقاتها الخاصة.. بعيداً عن التنظيرات الماركسية المعروفة.

وفاءه للأصدقاء

ونتوقف عند تصديره لكتابه «المقالات العسكرية» لنتعرف على بعدٍ هام جداً من حياة هذا الثائر الاستثنائي.. وهو وفاءه النادر للأصدقاء..فيهدي هذا الكتاب لصديقه العزيز « كاميلو سيانفويغوس »

من هو كاميلو سيانفويغوس Camilo Cienfuegos ؟

كان كاميلو سيانفويغوس هو أحد قادة الجيش الثائر الكوبي.. ومن أكثر المجاهدين شعبية في حرب التحرر الكوبية.. وهو أحد أفراد الرعيل الأول الذي أبحر من المكسيك مع فيدل كاسترو على متن زورق الثورة.. ونزل معهم إلى البر في منطقة سييرا مايسترا الجبلية شرقي كوبا لبدء الثورة المسلحة.. وقد توفي سيانفويغوس عام 1959 في حادث طائرة.

يقول جيفارا في المقدمة :

أهدي هذا الكتاب إلى ذكرى كاميلو سيانفويغوس.. الذي كان مفروضاً أن يعيد قراءته ويُجري فيه التصحيحات اللازمة.. إلا أن القدر لم يتح له ذلك.. ويمكن اعتبار هذه السطور تكريماً من أحد أفراد الجيش الثائر[1] إلى رائده الكبير.. إلى أعظم قائد مغاور أنجبته هذه الثورة.. إلى الثوري الناصع.. إلى الصديق الأخ.

كان كاميلو رفيق مئة قتال.. كان موضع ثقة فيدل في اللحظات العصبية من الحرب.. كان المناضل المفعم نكراناً للذات.. الذي اتخذ الفداء دوماً أداةً لاسقاط طبعه.. وتصليب طباع الجنود.

اعتقد أنه كان قميناً أن يوافق على هذا الكتاب الوجيز الذي جمعت فيه تجاربنا في حرب الغوار.. لأنها نتاج الحياة ذاتها.. إلا أنه كان خليقاً أن يصبغ هذه الصفحات بالحيوية العميقة التي يفيض بها خلقه وذكاؤه وإقدامه.. تلك الصفات التي لا تبلغ مثل هذا الكمال إلا في نفر من شخصيات التاريخ.

بيد أنه لا ينبغي للمرء أن يتصور كاميلو كبطل أسطوري.. يحقق مآثر خارقة بحافز من عبقريته وحدها.. يجب النظر إليه كفيض من الشعب الذي صنعه.. على نحو ما يصنع أبطاله و شهداءه وقادته.. في الا صطفاء العظيم إبان النضال وظروفه القاسية.

(1) يقصد جيش الثورة في كوبا.

ولا أدري هل كان كاميلو يعرف مقولة دانتون بصدد الحركات الثورية: «الإقدام.. ثم الإقدام.. الإقدام أبداً!». على أية حال.. كان كاميلو قد مارسها في أعماله بعد أن قرنها بالضرورات الخاصة بالمغاور.. وهي تحليل الوضع بدقة وسرعة.. وملكة التنبؤ بالمسائل التي يطرحها المستقبل.

وإذا كانت هذه السطور بمثابة تكريم شخصي وتكريم شعب بأسره لبطلنا في آن واحد.. فهي لا تستهدف أن تروي سيرته وتقص مآثره.. إلا أنني أقول إن كاميلو كان رجل ألف مأثرة.. كان يرسلها بصورة طبيعية..

إذ كان.. إلى جرأته واحترامه للشعب.. يجمع في شخصيته الخاصة.. ذلك العنصر الذي كثيراً ما يُنسى ويُنكر شأنه.. والذي كان كاميلو يطبع به كل ما يخصه.. إنها الأصالة الثمينة التي قلما تجد رجالاً يدمغون بها كل عمل من أعمالهم.. لقد قالها فيدل مرة: لم تأته ثقافته من الكتب.. بل كان له ذكاء الشعب الفطري.. فاختاره الشعب بين ألف رجل ليرفعه إلى المكانة الممتازة التي تبوّأها بفضل إقدام وصلابة وذكاء واجتهاد لا مثيل لها.

كان كاميلو يمارس الصدق ديناً.. وقد نذر نفسه له: الصدق تجاه فيدل الذي يجسد بشخصه إرادة الشعب.. والصدق تجاه الشعب ذاته.. كانت هاتان العاطفتان لا تنفصمان لدى هذا المغاور الغلاّب.. تتلاحمان تلاحم فيدل والشعب.

وحرّي بنا أن نتساءل: من الذي أزال كيانه الجسماني من الوجود؟ لأن حياة أمثاله تتمادى في الشعب ولا تنتهي إلا عندما يقرر الشعب ذلك.

إن العدو هو الذي قتله.. لأنه كان يبغي موته.. لأنه ليس ثمة طائرات مضمونة.. لأن ملاحيها لا يستطيعون اكتساب كل الخبرة اللازمة.. ولأنه وهو مثقل بالأعمال.. كان يريد الوصول إلى لا هابانا بأسرع وقت... وإن ما قتله هو طبعه أيضاً.. لم يكن كاميلو يهابُ الخطر.. كان يستخدمه اللإلهاء.. يداعبه.. ويثيره كما تثار ثيران الحلبة.. يجتذبه ويداوره.. ففي عقليته الغوارية لم تكن هناك عثرة تستطيع إيقاف أو تشويه الخط الذي ارتسمه لنفسه.

ذهب عندما كان شعب بأسره قد عرفه وأعجب به وأحبه.. كان من الممكن أن يحدث ذلك في وقت مبكر وكانت سيرته عندئذ لن تعدو سيرة أي قائد مغوار.. قال فيدل: سوف يجيء كثير من أمثال كاميلو.. ويمكنني الإضافة أنه ظهر كثير من مثل كاميلو.. و قد انتهت حياتهم قبل أن يتموا ذات الدورة الرائعة التي أدخلتهم في التاريخ.. إن كاميلو.. والكاميلويين الآخرين (الذين لم يحققوا أنفسهم.. والقادمين).. هم البرهان على قوة الشعب.. والتعبير الأسمى عما يمكن أن تنجبه أمة تحمل السلاح دفاعاً عن أصفى مثلها العليا وعن إيمانها في إنجاز أنبل غاياتها.

لن نثبِّته لنحبسه في قالب.. ففي ذلك قتله.. لندعه هكذا.. على هيئة ملامح.. دون تحديد دقيق لفكره الاجتماعي والاقتصادي الذي لم يكن محدداً تماماً.. ولنتذكر فقط أنه لم يوجد في هذه الحرب التحررية جندي يضارع كاميلو.. ثوري مكتمل.. رجل شعبي.. صنّاع في هذه الثورة التي صنعتها الأمة الكوبية لنفسها.

لم يكن عقله ليتصـــور أقل هنة من الإعياء أو القنوط.. إن كاميلو المغاور هو موضـــوع دائم للتخيل كل يوم.. إنه الذي فعل هذا أو ذاك من الأعمال.. «شـــيئاً من كاميلو».. إنه الذي طبع الثورة الكوبية بســـمته الدقيقة التي لا تَمحي.. والذي يبقى حاضراً في قلوب كل من لم يحققوا أنفسهم والقادمين.. إن كاميلو.. في تجدده المستمر الخالد.. هو صورة الشعب.

جيفارا يُنظر لحرب العصابات [1]

جوهر حرب الغوار

لم يكن الظفر المسلح الذي أحرزه الشعب الكوبي على طغيان باتيستا لينحصر فقط في النصر الملحمي الذي سجله المراقبون في العالم أجمع.. بل كان كذلك انقلاباً في العقائد القديمة حول سلوك الجماهير الشعبية في أمريكا اللاتينية. وقد برهن بشكل ملموس أن شعباً يستطيع.. بالغوار.. أن يتحرر من حكومة تضطهده.

(1) كما ســنلاحظ في الجزء التالي الذى كتبه جيفار بنفســه أنه تمت ترجمة العمل عن طريق الأســتاذ فؤاد أيوب باستخدام مصطلح «حرب الغوار» بديلاً عن المصطلح الأكثر شيوعاً واستخداماً وهو حرب العصابات.. ولكن المعنى واحد في الحالتين.

ونحن نرى أن الثورة الكوبية قد أمدت الحركة الثورية في أمريكا بثلاثة إسهامات إذ أثبتت ما يلي:

أولاً – تستطيع القوى الشعبية أن تكسب حرباً ضد الجيش النظامي.

ثانياً – لا ينبغي الانتظار دوماً حتى تجتمع كافة الظروف للقيام بالثورة.. إذ يمكن للبؤرة الثورية أن تفجِّر هذه الظروف الثورية.

ثالثاً – ينبغي في الأنحاء المتخلفة من أمريكا.. اتخاذ الريف ميداناً أساسياً للنضال المسلح.

تتعارض النقطتان الأوليان مع الموقف التريُّثي الذي يقفه ثوريون أو أشباه ثوريين ممن يتذرعون لإحباطهم بدعوى أن شيئاً لا يمكن محاولته ضد الجيش النظامي.. ناهيك عن أولئك الذين ينتظرون أن يلقوا كافة الظروف الموضوعية والذاتية وقد اجتمعت بصورة آلية.. دونما اهتمام بتعجيلها. إن هاتين الحقيقتين اللتين لا مجال لإنكارهما قد غدتا واضحتين تماماً.. إلا أنهما قد نوقشتا في كوبا في الماضي وربما هما تُناقشان الآن في أمريكا اللاتينية.

ومن الطبيعي أن الحافز الذي تشكله بؤرة الغوار لا يكفي وحده لا ستجماع كافة الظروف اللازمة للثورة. بل ينبغي الاعتبار دوماً بأن إنشاء البؤرة الأولى وتوطيدها يقتضيان حداً أدنى من الظروف المؤاتية.. فينبغي إذاً أن يبرهن للشعب بوضوح تعذر الاستمرار في النضال المطالبي في إطار الشرعية.. إن ما يخل بالسلام هو بالضبط أن قوى الاضطهاد تحتفظ لنفسها بالسلطة ضد الحق.

و سوف يجد ا ستياء الشعب.. في مثل هذه الظروف.. تعبيراً عن ذاته يزداد قوة.. و سيأتي الوقت الذي تتبلور فيه المقاومة في نطفة من نضال يثيرها في الأ صل موقف السلطات.

وعندما تصل إحدى الحكومات إلى السلطة عن طريق ا ستشارة شعبية.. مزيفة أو غير مزيفة.. وتحافظ ولو في الظاهر على الشرعية الد ستورية.. فإن بذرة الغوار لا يمكن أن تنتشر لأن كافة إمكانات النضال الشرعي لم تستنفد بعد.

أما الإسـهام الثالث.. فهو على الصـعيد الريادي. ويجب اعتباره تحذيراً للذين يستندون إلى مقاييس عقيدية.. فيدَّعون تركيز نضال الجماهير على الحركات المدنية.. ناسـين تماماً مسـاهمة الفلاحين العظيمة في حياة كافة البلدان المتخلفة من أمريكا. ليس الأمر استصغاراً لنضال الجماهير العمالية المنظمة.. إنما هو تحليل إمكاناتنا تحليلاً واقعياً.. في ظروف النضال المسلح الصعبة.. حيث تصاب الضمانات التي ترافق دساتيرنا عادة.. بالتعطيل أو التجاهل.. وينبغي عندئذ أن تغدو الحركات العمالية سرية وأن تواجه دون سلاح أخطاراً هائلة في و ضع عدم الشرعية.. أما في الريف.. فالموقف ليس على نفس القدر من الصـعو بة.. لأن المغاوير المسـلحين يدعمون السكان.. في أماكن يستحيل أن تطالها قوى القمع.

سـوف نتوسـع في التحليل بدقة في ما بعد.. ولنلاحظ منذ الآن في مطلع هذا الكتاب.. الاسـتنتاجات الثلاثة الآنفة.. التي تؤلف في رأينا.. الشيء الأسـاسي في مساهمتنا.

تتصف حرب الغوار.. أساس النضال الشعبي.. بمميزات ووجوه متباينة جداً.. وإن كانت تستمد دوماً من إرادة التحرر ذاتها. من الواضح – وقد قالها النظريون جيداً – أن الحرب تستجيب إلى سلسلة معينة من القوانين العلمية.. وأن من يخالفها يتحتم فشله.. إن الغوار هو أحد أطوار الحرب المنهجية. وينبغي أن تحكمه قوانينها كافة.. إلاّ أنه يشتمل إضافة.. وبسبب طابعه الخاص.. على قوانين لاحقة ينبغي الرضوخ لها.. ومن الطبيعي أن تحدد الظروف الجغرافية والاجتماعية لكل بلد ما هي القوالب الخاصة التي ترتديها حرب الغوار فيه.. غير أن هذه القوانين الأساسية صحيحة لكل نضال من هذا النمط.

نقصد الآن إلى إيجاد الأسس التي يقوم عليها هذا النمط من النضال.. والقواعد التي ينبغي أن تتبعها الشعوب الباحثة عن تحررها.. إن مقصدنا هو تحويل الممارسة إلى نظرية واستجلاء بنية هذه التجربة وتعميمها لفائدة الآخرين.

ينبغي أن نثبت أولاً من هم المقاتلون.. إنهم من جانب.. النواة المضطهِدة.. وفي خدمتها الجيش النظامي.. حسن التجهيز والانضباط.. وتستطيع هذه النواة في حالات كثيرة أن تعوّل على تأييد الأجنبي و تأييد جماعات صغيرة من الموظفين الدائرين في فلك المضطهِد. ويقف في الجانب الآخر.. سكان البلد أو المنطقة المعنية. ومن المهم ملاحظة أن الغوار نضال جماهيري.. نضال الشعب..

وأن الغوّارة[1].. الجماعة المسلحة الصغيرة.. هي طليعته المقاتلة.. وتمكن قوتها في جمهور السكان.. لا ينبغي اعتبار الغوّارة أضعف عددياً من الجيش النظامي الذي تقاتله.. رغم أن قوَّة نارها اضعف منه.. لذلك ينبغي اللجوء إلى حرب الغوار لدفع الاضطهاد.. متى توفر تأييد غالبية السكان.. مع كمية من الأسلحة في منتهى الضئالة.

وتتمتع الغوارة حينئذ بالتأييد الشامل من السكان المحلين وهذا شرط لا تقوم بدونه.. ويبدو ذلك واضحاً إذا أخذنا مثال عصابات قطاع الطرق التي تعمل في منطقة ما.. لهذه العصابات كافة مميزات جيش الغوار: التماسك.. واحترام الرئيس.. والشجاعة.. ومعرفة الأرض.. وفي أحيان كثيرة.. تقدير جريء للتكتيك الواجب اتباعه.. ولا ينقصها إلا تأييد الشعب: فلا مفر لهذه العصابات من أن تعزلها أو تبيدها القوات الأخرى .

بعد أن حلَّلنا تكتيك العمليات في حرب الغوار.. وشكل الكفاح فيها.. وبعد أن فهمنا أن الشعب هو مستندها.. بقي أن نتساءل: من أجل ماذا يناضل المغاور؟ فنصل إلى النتيجة المحتومة وهي أن المغاور مصلح اجتماعي.. وأنه يحمل السلاح استجابة لاستنكار الشعب الكامن ضد مضطهِديه.. وأنه يقاتل لتغيير النظام الاجتماعي الذي يُبقي على إخواته العزَّل في الهوان والبؤس.. إنه يهاجم المؤسسات الخاصة في عصر معين.. لَكي يحطم بنيانها.. بكل ما تتيح له الظروف من قوة.

(1) الغوّارة: الوحدة الأساسية في جيش الغوار.

سـوف نرى متى حللنا تكتيك حرب الغوار بعمق أكبر.. أنه ينبغي للمغاور أن يعرف الأرض تمام المعرفة.. وكذلك مسالك القدوم والانكفاء.. وإمكانات المراوغة السريعة.. وأمكنة الاختباء.. والتأييد الشعبي طبعاً. ويدل كل ذلك على أن المغاور سوف يمارس عمله في بيئة ريفية قليلة السكان.. وفي المكان المفضل لكفاح الشعب من أجل مطالبيه.. كل ذلك في تطلع يكاد ينحصر بتغيير البنيان الاجتماعي لملكية الأراضي.. بعبارة أخرى: إن المغاور هو قبل كل شيء ثائر زراعي.. يترجم رغبة جماهير الفلاحين الكبرى في امتلاك الأرض.. امتلاك وسائل إنتاجهم ودوابهم.. وكل ما رغبوا فيه سنوات طوالاً.. وما يؤلف حياتهم كما يؤلف الأرض التي سوف يموتون فيها.

ينبغي التدقيق في أن ثمة نمطين مختلفين من حرب الغوار: أحدهما وهو حالة ذلك النضال الذي يتمم عمل الجيوش النظامية الكبرى – مثل نضال الأنصار الأوكرانيين في الاتحاد السوفياتي.. ولا يتناوله تحليلنا.. النمط الآخر وحده هو الذي يهمنا: إنه حالة جماعة مسلحة تتقدم في النضال ضد السلطة القائمة.. سواء أكانت استعمارية أم لا.. وتستقر في مأرز وحيد.. وتنتشر في الأوساط الريفية.. ومهما كان البناء الفكري الذي يلهم النضال.. فإن أمنية امتلاك الأرض هي ما يؤلف أساسه الاقتصادي.

بدأت صين «ماوتسي ـ تونغ» في الجنوب بنضال نَوَى عمالية منيت بالهزيمة وأشرفت على الإبادة. إنها لم تترسخ وتشرع في سيرها الصاعد إلا بعد المسيرة الكبرى في مقاطعة اليونّان.. عندما استندت إلى الأرياف واعتمدت الإصلاح الزراعي أساساً لمطالبها.. وكان نضال هوشي منه في الهند الصينية يستند إلى الفلاحين زارعي الأرز الذين يضطهدهم النير الاستعماري الفرنسي.. وأخذ هذا النضال يتقدم بمؤازرة هذه القوى حتى هزم الاستعماريين.. وفي كلا الحالين.. وعلى الرغم من المعارضة التي شكلتها الحرب الوطنية ضد المعتدين اليابانيين.. فإن الأساس الاقتصادي.. وهو النضال من أجل الأرض.. لم يختفِ.. وفي حالة الجزائر.. فإن استثمار مليون مستعمر فرنسي ـ لأراضي الجزائر القابلة للزراعة كلها تقريباً.. هو الملحق الاقتصادي بالفكرة العظيمة للقومية العربية.. وفي بلدان أخرى مثل بورتوريكو.. حيث لم تسمح الظروف الخاصة بهذه الجزيرة بنشوء حرب الغوار.. فإن الروح القومية التي يجرحه التمييز كل يوم أبلغ الجراح.. تقوم على تطلع الفلاح (وإن تم استكداحه[1] في أحيان كثيرة) إلى الأرض التي سلبه إياها الغزاة اليانكي[2]

(1) استكداح الإنسان: تحويله إلى حال الطبقة الكادحة.

(2) اليانكي: كناية عن سكان الولايات المتحدة الأمريكية، بمظهرهم الاستعماري تجاه الشعوب الأخرى.

وكانت هذه الفكرة المركزية ذاتها.. في ظروف مختلفة.. هي التي تلهب صـغار المالكين.. والفلاحين.. والعبيد.. في مزارع كوبا الشرقية.. عندما تنادوا للدفاع معاً عن حقهم في امتلاك الأرض إبان حرب التحرر ذات الأعوام الثلاثين[1].

وعلى الرغم من المميزات الخاصة التي تجعل من حرب الغوار نمطاً من الحرب محدداً بدقة.. فإن هذه الحرب.. بالنظر إلى إمكانات تطورها وتحولها إلى حرب تحاصُنٍ عن طريق تزايد الجماعة العاملة الأصلية.. يمكن اعتبارها نطفة أو شكلاً بدائياً لحرب التحاصُن.. وتتبع إمكانات اتساع حرب الغوار وتحويرها وتحويلها إلى حرب تحاصن.. وضوحاً.. إلى إمكان هزم العدو في كل معركة تُخاض وكل قتال وكل مناوشة. إنه مبدأ أساسي.. إذاً لا يُخاض غمار أي معركة أو قتال أو مناوشة ما لم تكن مظفرة بالتأكيد.. ويقول تعريف سيىء النية إن «المغاور هو يسوعي[2] الحرب». يعني هذا أن العناصر الجوهرية في الغوار هي المفاجأة والخداع والعمل الليلي.. وواضح أنه نوع خاص من اليسوعية.. تسببه الظروف التي ترغم المرء أحياناً أن يتبنى سلوكاً يخالف مفاهيم الرواء والمباراة الرياضية التي يريدون حملنا على الاعتقاد أن الحرب تمارس وفقها.

الحرب هي دوماً صراع يسعى كل خصم فيه لإفناء الآخر.. وللوصول إلى ذلك يلجأ.. إضافة إلى القوة.. لكافة الأساليب.. وكافة الحيل الممكنة.

(1) خاض الشعب الكوبي حروباً طوال القرن التاسع عشر للتحرر من الاستعمار الأسباني، كانت تغرق كل مرة بالدماء. وأهمها هي حرب التحرر الكبرى التي دامت ثلاثين عاماً، بين 1868 و 1898، وانتهت بزوال السيطرة الأسبانية عن كوبا.

(2) نسبة إلى الرهبنة اليسوعية (الجزويت أو جمعية يسوع)، التي يعزى إليها مثل ذلك.

ولا تعدو الريادة والمهانة أبداً إيضاح الأهداف التي ارتسمها كل من الخصمين لنفسه.. والوسائل التي يستعملانها لبلوغ الأهداف.. وتشتمل هذه الوسائل على استعمال كافة نقاط الضعف لدى العدو.. فإذا ما حلَّل المرء واحدة من حروب التحاصُن لاحظ أن كل سرية فيها مأخوذة على انفراد يتميز عملها بمميزات حرب الغوار ذاتها: تأثير المفاجأة.. الخداع.. العمل الليلي.. وإذا لم تستعمل هذه الصيالة.. فمرد ذلك إلى تعذر مداهمة الأعداء الساهرين.. ولما كانت الغوارة بحد ذاتها جماعة مسلحة وإن ثمة مناطق واسعة لا يراقبها العدو.. فيمكن إحداث تأثير المفاجأة دوماً.. ومن واجب المغاوير أن يفعلوا ذلك.

إنهم يصفون عمل المغاور ذمَّاً بقولهم: «عضّ واهرب».. وهو صحيح.. عض واهرب.. تريَّث.. راقب.. عُدْ ثانية عضّ واهرب مرة أخرى وهكذا دواليك.. دون أن تترك للعدو راحة. يبدو في الظاهر أن هذه التراجعات.. هذا الرفض للقتال الجبهي.. تؤلف موقفاً سلبياً.. إلا أنها في الواقع نتائج الريادة العامة لحرب الغوار.. التي تطابق غايتها النهائية غاية كل حرب: الظفر وإفناء العدو.

من الثابت أن حرب الغوار تؤلف أحد أطوار الحرب.. فلا يستطيع هذا الطور وحده أن يؤدي إلى الظفر.. إنه أحد الأطوار الأولى من الحرب.. وسوف يتطور حتى يكتسب الجيش الثائر.. إبان نموه المستمر.. مميزات جيش نظامي.. يكون قد تهيأ عند ذلك لأن يكيل الضربات النهائية للعدو وأن يظفر.. فإذا كان النضال في البدء من شأن غوّارة واحدة.. فالظفر سيكون دائماً من شأن جيش نظامي.

ومثلما ينبغي في الحرب الحديثة.. أن لا يموت اللواء قائد فرقة على رأس جنوده.. ينبغي كذلك للمغاور الذي هو لواء نفسه.. أن يصون حياته.. إنه مستعد لعطائها.. غير أن الوجه الإيجابي من حرب الغوار هو بالدقة أن كل مغاور مستعد للموت ليس دفاعاً عن مثل أعلى.. بل لتحويل المثل الأعلى إلى حقيقة.. هذه هي قاعدة نضال الغوار وعين جوهره: إنها المعجزة التي تجترحها جماعة صغيرة من الرجل.. وهم الطليعة المسلحة للجمهرة الشعبية الكبرى التي تؤازرهم.. إذ يتطلعون إلى ما وراء الهدف الصيالي المباشر.. ويجهدون بثبات لتحقيق مثل أعلى.. لهدم البنيان القديم.. لإقامة مجتمع جديد وإحقاق العدالة الاجتماعية أخيراً.

وإذا ما نظرنا للأمر من هذه الزاوية.. فإن كل ما كان مدعاة لأحكام مشوبة بالذم.. يستنير بنور جديد ويجد تبريره في عظمة الغاية التي يصبو إليها المغاوير. فليس في الأمر وسائل ملتوية لبلوغها.. فهذا السلوك في النضال الذي يجب أن لا يخبو لحظة.. وهذه الصرامة في مواجهة المسائل الكبرى المرتبطة بالهدف النهائي.. هما عظمة المغاوير.

2 – ريادة حرب الغوار

يُقصد بالريادة.. في الاصطلاح العسكري.. تحليل الأهداف التي يجب بلوغها..تبعاً لوضع عسكري عام.. والوسائل المؤدية إلى هذه الأهداف.

ولتقدير الريادة تقديراً صحيحاً.. من وجهة نظر حرب الغوار.. يلزم القيام بتحليل أساسي لسلوك العدو.. فإذا ما اتضح أن الهدف النهائي للجيش النظامي هو إفناء القوى المعادية له.. فإن حرباً أهلية من هذا النمط تمثل الأمر لنا تمثيلاً منهجياً ينبغي للعدو أن يعمد إلى إفناء كافة أعضاء الغوارة إفناءً شاملاً. وبالمقابل ينبغي للمغاور أن يحلل الوسائل التي يعتد بها العدو لإدراك هذا الحل.. الوسائل التي يستطيع العدو اعتمادها من رجال.. وجؤول[1].. وتأييد شعبي.. وتسلح.. وحسن قيادة ينبغي أن تتكيف ريادتنا باستنتاجات هذا التحليل.. دون أن تُسقِط من اعتبارها أبداً أن الهدف النهائي هو إنزال الهزيمة بالعدو.

ثمة أوجه أساسية ينبغي دراستها.. مثلاً: السلاح.. وكيفية استعماله.. والتحليل المضبوط لدرجة فعالية دبابة أو طائرة في صراع من هذا النوع.. والبحث عن معرفة أسلحة العدو وذخائرة وعاداته.. فالسلاح الموجود لدى العدو هو بالضبط منبع تموين الغوار وإذا أمكن الاختيار.. فيسفضل نمط السلاح الذي يستخدمه الجيش النظامي.. لأن أكبر أعداء الغوار هو فقدان الذخيرة.. وهو ما ينبغي تداركه من العدو ذاته.

بعد تحليل وتدريج الأهداف التي يجب بلوغها.. يلزم تحديد المراحل لتحقيق الهدف النهائي.. وهي مراحل يوضع توقَّع بها.. إلا أنها تتعدل إبان الصراع وتتكيف بالظروف غير المتوقعة التي يحتمل نشوؤها.

(1) الجؤول: قابلية الحركة والمجاولة.

الشيء الجوهري بالنسبة للمغاور.. في الطور الأول.. هو أن لا يدع نفسه يُبَاد.. من ثم ورويداً.. يزداد يُسراً لأعضاء الغوارة أو الغوارات المختلفة أن يتكيفوا بطراز الحياة هذا ويعتادوا الهروب بسهولة وتخليف القوى المرسلة في أعقابهم. بعد بلوغهم هذا الهدف.. الذي يتم سوية مع اتخاذ المواقع التي تعصم المغاوير من أن تطالهم يد العدو (أو مع النجاح في تأليب قوى كافية لفَلّ عزيمة العدو من أي هجوم).. ينبغي الشروع عندئذ بإضعاف العدو تدريجاً.. أولاً في أقرب الأمكنة إلى مواضع المكافحة العنيفة ضد الغوار.. ثم في أرض العدو.. بمهاجمة مواصلاته.. وإرهاق مآرِز عملياته أو مآرِزه المركزية.. والإكثار من التخريب جهد المستطاع.. تبعاً للوسائل المتوفرة.

ينبغي الضرب باستمرار.. يجب عدم ترك جندي العدو يغمض جفنه في منطقة العمليات. يجب مهاجمة المخافر وتصفيتها بطريقة منهجية. يجب إعطاء العدو الانطباع بأنه مطوَّق في كل لحظة.. ويتم ذلك نهاراً في الأرض الوعرة الشَجِرة.. وليلاً في الأرض المنبسطة أو سهلة المسلك للدوريات. يقتضي كل ذلك تعاون السكان تعاوناً كلياً.. كما يقتضي معرفة كاملة بالأرض. يتبادر هذان الشرطان إلى النظر في كل دقيقة من حياة المغاور. لذلك ينبغي إقامة مراكز دراسة لمناطق العمليات الحالية أو المستقبلة.. والنهوض في الوقت ذاته بعمل جماهيري كثيف.. مع شرح دواعي الثورة وغاياتها.. ونشر الحقيقة التي لا مراء فيها وهي أنه يستحيل.. في النهاية.. الانتصار على إرادة الشعب. إن من لا يشعر بهذه الحقيقة المطلقة لا يمكن أن يكون مغاوراً.

يجب في البدء أن يؤخذ هذا العمل على محمل الكتمان.. يجب أن يطلب من كل فلاح من كل فرد من المجتمع الذي نعمل فيه.. أن لا يبدي أي تعليق عما يرى أو يسمع. ويتم البحث في وقت لاحق عن مساعدة السكان الذين تتوافر لديهم أمتن الضمانات عن إخلاصهم للثورة. ويُستخدمون من ثم في مهمات الارتباط ونقل البضائع أو الأسلحة.. ويفيدون كأدِلاء في المناطق التي يعرفونها. ويمكن الوصول أخيراً إلى جماهير سبق تنظيمها في مناطق النشاط.. وتكون نتيجته النهائية الإضراب العام.

والإضراب عامل يأتي في المقام الأول من الأهمية في الحرب الأهلية. لكن الوصول إليه يستلزم سلسلة من العوامل الثانوية.. وهذه العوامل ليست حاضرة دائماً ولا تتوفر بصورة عفوية إلا في حالات قليلة جداً ينبغي استحداثها بشرح دواعي الثورة.. بالتدليل على قوة الشعب الحقيقية وإمكاناته.

ويمكن الاستعانة أيضاً بجماعات معينة.. شديدة التجانس. فبعد أن تكون قد أثبتت فعاليتها في أعمال أقل خطراً.. تبدأ بأعمال التخريب.. إنه سلاح ماض آخر في حرب الغوار: يمكن به إنزال الشلل بجيوش كاملة.. والإضراب في الحياة الصناعية لإحدى المناطق.. وحرمان سكان مدينة من العمل والماء والموصلات وإرغامهم على هجران الشوارع إلا في ساعات معينة.

فإذا ما تم التوصل إلى ذلك تدنت معنويات العدو أكثر فأكثر.. ومعها معنويات وحداته المقاتلة.. تتماثل الثمرة إلى النضج لقطافها في اللحظة المرغوبة.

ويفترض كذلك أن تكون الأرض التي أدركها نشاط الغوار قد اتسعت سابقاً.. لكنه ينبغي ألاّ يبالغ أبداً في توسيعها.. يجب الاحتفاظ دوماً بمظلة عمليات قوية والاستمرار في توطيدها طوال مدة الحرب.. ويجب تلقين سكان المنطقة.. والاحتراز من أعداء الثورة.. واستكمال كافة الوسائل الدفاعية البحتة.. داخل هذه الأرض.. كالخنادق والألغام والموصلات.

ومتى بلغت الغوار قِواماً ذا شأن من سلاح ورجال.. عليها أن تجنح إلى تشكيل أرتال[1] جديدة.. وعلى نحو ما يحصل في خلية النحل.. حيث تنفصل ملكة جديدة في وقت معين.. وتبقى الخلية الأم في الغوارة.. مع أهم قائد فيها.. تمكث في المنطقة الأقل خطراً.. بينما تتوغل الأرتال الجديدة في مناطق عدوة أخرى.. وفق النهوج[2] الذي وصفناه.

و يأتي و قت تصبح فيه الأرض التي تحتلها الأر تال المختلفة أصغر من أن تستوعبها.. في حين تواجه هذه الأرتال قوى عاتية إبان تقدمها نحو المناطق التي يقبض عليها العدو قبضاً شديداً. في هذه الحالة.. تتألب الأرتال.. وتكافح في جبهة متراصة.. فإذا بها حرب تحاصن.. حرب جيوش نظامية.. غير أن جيش الغوار القديم لا يستطيع الانفصال عن مأزره. وينبغي عندئذ تشكيل أرتال غوارية جديدة وراء خطوط العدو.. تنهج مثل سابقتها وتتوغل شيئاً فشيئاً في هذه المنطقة الجديدة حتى تسيطر عليها.

(1) أرتال : أي فرق .. أو كتائب .

(2) النهوج: التقدم على نهج. والمقصود به سير حادثة إبان تطورها.

وبذلك نصل على مرحلة الهجوم.. محاصرة المواضع.. وإنزال الهزيمة بإمدادات العدو.. ونحصل على نشاط الجماهير المتزايد شدَّةً كل يوم في سائر أرجاء الوطن.. وإلى هدف الحرب النهائي: الظفر.

3 – صيالة [1] حرب الغوار

الو سائل الصيالية أكثر قابلية للتحول وأكثر مرونة بكثير من الأهداف النهائية.. وعليها أن تتكيف بكل واحد من ظروف الصراع.. وخلال حرب واحدة.. توجد ثمة أهداف صيالية ثابتة وأخرى متحولة.. وينبغي قبل كل شيء مراعاة تصويب نشاط الغوّارة على نشاط العدو.

جؤول الغوارة هو مائزتها[2] الأساسية.. وهو يسمح لها أن تصل بدقائق معدودة بعيداً عن مكان العمل.. وإذا لزم الأمر.. أن تغدو في بضع ساعات بعيدة عن منطقة العمليات.. فيتيح لها ذلك أن تغير جبهتها باستمرار وتتجنب أي تطويق. وحسب أطوار الحرب المختلفة.. تستطيع الغوارة أن تمارس التراجع فقط للإفلات من الطوق.. والتطويق هو الوسيلة الوحيدة لإرغام الغوارة على خوض معركة حاسمة تكون غير مؤاتية لها على نحو بليغ..

(1) الصيالة هي الوسيلة العملية لمتابعة الأهداف الكبرى.. إنها متمم الريادة وهي.. على نحو ما.. وضعها موضع التنفيذ. وذلك بحسب ما أورده المترجم الأستاذ فؤاد أيوب من تعريفٍ لها في الكتاب المنقول عنه هذه الفقرات..

(2) المائزة: الخاصة المميزة.

كما يمكّن للغوارة أيضاً أن تخوض قتالات لتضاد التطويق: يدع فريق صغير من الرجال نفسه ليطوقه العدو في الظاهر.. بينما يجد العدو نفسه فجأة وقد طوقته قوى تفوقه عدّاً. أو يُستخدَم الفريق الصغير من الرجال المتحصِّن في موضع منيع.. كطعم.. بينما يتم تطويق وإبادة العتاد وكافة الجنود الآتين لنجدة الجيش النظامي. تسمى هذه الحرب الجائلة «مينويتو» تشبيهاً لها بالرقصة التي تحمل الاسم ذاته. يحاصر المغاوير مثلاً عدواً إبان السير.. واضعين خمسة أو ستة رجال في كل من الجهات الأربع.. بعيدين عن بعضهم بعضاً بكفاية لكي لا يقعوا في التطويق.. وتباشر إحدى هذه الزمر القتال. فيتركز الرتل العدو عليها تلقائياً.. يتراجع هؤلاء المغاوير.. وعندئذ.. مع بقائهم في تماس بالعدو يبدأ الهجوم ثانية من زمرة أخرى.. فيجدد الجيش حركته السابقة ويتراجع المغاوير ثانية.. يمكن على هذا النحو دون خطر كبير.. تجميد رتل عدو وجعله يستنفد كمية كبيرة من الذخيرة وتحطيم معنوياته.

تطبق المهانة ذاتها في الليل.. لكن بمزيد من الاقتراب.. ومن الهجومية.. لأن التطويق آنئذ أصعب. العمل الليلي هو مائزة هامة أخرى لحرب الغوار: إنه يسمح بالتقدم أقرب ما يمكن من المواضع المزمع مهاجمتها.. وبالتجول في المناطق غير المعروفة جيداً حيث توجد مخاطر الوشاية.. من المفهوم.. نظراً لقلة العدد.. أن هذه الهجمات لا بد من وقوعها دوماً بالمفاجأة.. وهذا ما يهب تفوقاً عظيماً ويتيح للمغاوير إنزال الخسائر بالعدو دون مقابل في صفوفهم..

ففي قتال يقف فيه مئة رجل في جانب وعشرة في الجانب الآخر.. لا يمكن أن تتعادل الخسائر. خسائر العدو قابلة التعويض في كل لحظة.. وهي.. إذا استرسلنا في مثالنا.. توافق 10 ٪ من العدد.. أما خسائر الغوارة فإن تعويضها يستلزم وقتاً أطول لأن المغاور جندي ذو تخصص عال وخسارته تعادل 10 ٪ من مجموع العدد.

لا يُترك جندي ميت من الغوار أبداً طريحاً بسلاحه وذخيرته.. وما أثمنهما في النضال.. إن واجب كل مغاور.. عندما يُصرعُ أحد رفاقه.. هو أن يستعيد السلاح والذخيرة. فالعناية التي تبذل للذخيرة.. والمدارة التي تحاط بها.. هما بالضبط مميز آخر لحرب الغوار.. فيمكن في قتال بين غوارة وقوة نظامية.. تحديد هوية الطرفين من طريقتيهما في إطلاق النار: تركيز كبير للنار لدى الجيش النظامي.. ورمي متباعد ودقيق لدى المغاوير.

وقد حدث أن أحد أبطالنا ـ وهو متوفى الآن ـ قد استعمل رشاشه حوالي خمس دقائق دون مباعدة بين الرشَّات.. فاختلط الأمر على قواتنا من جراء هذه الوهازة[1] في الرمي التي حملتهم على الظن أن ذلك المكان قد سقط في أيدي العدو. إنها إحدى المناسبات النادرة التي لم نحاول فيها توفير الذخيرة.. نظراً لأهمية النقطة المدافع عنها.

وهناك مائزة جوهرية أخرى للمغاور.. هي قابليته للتكيف بكل الظروف ولتحويل كل الحوادث العارضة إلى عناصر مؤاتية. فالمغاور.. إزاء جمود طرائق القتال النهجية.. يرتجل صيالته في كل لحظة من النضال ويفاجىء العدو باستمرار.

(1) الوهازة: شكل الخطو، المشية. (الوتيرة).

إن مواضـع المغاور هي مطاطة قبل كل شيء.. إنها نقاط محددة لا يسـتطيع العدو أن يجوزها.. ونقاط إلهاء.. كثيراً ما تلاحظ الدهشـــة تعتري العدو عندما يتبين له.. من بعد تقدمه بانتظام واجتيازه المعاثر بســهولة.. أنه قد أوقف فجأة وتعذر عليه السـير قُدُماً.. مرد ذلك إلى أن المغاوير يتخذون مواضـع لا تُنَال.. إذا ما أتيح لهم إجراء دراســة جدية للأرض.. وليس المهم هو عدد المهاجمين.. بل المهم عدد المدافعين. فإذا كان عددهم كافياً أمكنهم أن يقوموا كتيبة.. والنجاح حليفهم في أغلب الأحيان.. إن لم نقل دائماً.. إن مهمة القادة الكبرى هي الحكمة في اختيار المكان والزمان اللذين يمكن الدفاع فيهما عن أحد المواضع حتى النهاية.

وتختلف مِها نة الهجوم هي الأخرى بالنســبة للغوارة: يبدأ الهجوم مفاجئاً.. حانقاً.. لا يرحم.. ليتجمد بغتة في سلبية مطبقة.. يتماثل من بقي حياً من الأعداء إلى الاطمئنان.. ظناً منهم أن العدو قد انقلع.. فيرتاحون ويعودون إلى حياة منتظمة داخل الثكنة أو المدينة المحاصرة.. فإذا بهجوم جديد ينفجر.. في نقطة أخرى.. متصــفاً بالموائز عينها. هذا في حين تقبع معظم قوى الغوارة تراقب نجدات العدو المحتملة.. وقد يُشـن هجوم عنيف أحياناً على مخفر يحرس أحد الأحياء فيسـقط بين أيدي المغاوير.. المفاجأة والسرعة هما الشيء الجوهري في الهجوم.

إن أعمال التخريب ذات أهمية عظيمة جداً.. ينبغي التمييز بوضوح بين التخريب كوسـيلة ثورية عالية النجاعة وبين الإرهاب وهو وسـيلة يغلب عليها عدم النجاعة بصــورة عامة وهي ذات نتائج لا يمكن التنبؤ بها.. وكثيراً ما تحدث ضــحايا بين الناس الأبرياء.. وتكلف عدداً كبيراً من الأرواح المفيدة للثورة..

ويمكن اعتبار الإرهاب وسيلة مقبولة إذا استخدم لمعاقبة قائد مرموق من قوى الاضطهاد.. اشتهر ببغيه وبفعاليته في القمع وعُرف أن ثمة فائدة في إزالته من الوجود.. ولن يلجأ أبداً إلى إعدام أفراد قليلي الأهمية.. يستتبع موتهم مزيداً من القمع.

هناك نقطة يختلف حولها كثيرون في تقدير الإرهاب.. يعتبر بعضهم أن مجرد إثارة الاضطهاد المباحثي واستمضائه يعوق كل اتصال علني إلى حد ما – أو نصف سري – مع الجماهير.. فيجعل إعادة تأليب الجماهير مستحيلة.. من أجل اعمال تضحى ضرورية في حينها.. وهذا صحيح بحد ذاته. ولكنه يتفق خلال حرب أهلية.. ولدى سكان معينين.. أن يكون القمع قد بلغ مبلغاً من الشدة ينتفي معه في الواقع أي نوع من الأعمال الشرعية.. ويستحيل العمل الجماهيري عندئذ ما لم يكن مدعوماً بالسلاح. ينبغي إذاً إعارة اهتمام كبير لاختيار الوسائل التي ستتّبع.. وتحليل النتائج المؤاتية التي يمكن أن تجرها هذه الوسائل على الثورة.. فالتخريب.. بكل حال.. هو دوماً من أمضى الأسلحة إذا أُحسِن استعماله.. ويجب عدم استخدامه لتعطيل وسائل إنتاجية تدع قطاعاً من السكان مشلولاً.. أي تحدث البطالة.. دون أن تشل حركة المجتمع المنتظمة.. وبعبارة أخرى.. فمن المضحك مثلاً تخريب معمل للمرطبات[1].. بينما يكون تخريب مركز كهربائي ناجعاً ومنصوحاً به.

(1) صناعة المرطبات صناعة تصديرية هامة جداً في كوبا. لذا آثر جيفارا أن يضرب بها المثل لعلم الجميع هناك بها وبأهميتها

ففي الحالة الأولى يحصــل ترحيل بضــعة عمال.. لكن ذلك لا يغير مجرى الحياة الصـناعية في شيء.. أما في الحالة الثانية.. فيحصـل ترحيل العمال أيضـاً.. إلاَّ أنه يجد تبريره الكامل في الشــلل التام لحياة المنطقة.. ســوف نعود في ما بعد إلى مِهانة التخريب.

الطيران سـلاح ذو حظوة في الجيش.. لكن ليس له عمل حقيقي في الطور الأول من حرب الغوار.. عندما يكون الرجال قلة مبعثرة في منطقة وعرة.. يغدو الطيران ناجعاً عندما يخرب بصورة منهجية وسائل الدفاع المنظمة والمرئية.. وليس هذا واقعاً في نمط حربنا.. إنه ناجع أيضــاً أثناء ســير الأرتال.. في الأرض الســهلة أو رديئة الوقاية.. ولكنه يمكن اسـتبعاد هذه المسـألة بسـهولة بإجراء السـير ليلاً. إن النقل.. على الطرق أو على الســكك الحديدية.. هو إحدى نقاط ضــعف العدو. يســتحيل عملياً مراقبة طريق أو ســكة حديدية متراً .. بمتر. يمكن وضــع شــحنة كبيرة من المتفجرات في أي مكان.. فتعطل الســبيل.. أو تنفجر عند مرور ناقلة[1] عليها.. فتحدث بالإضافة إلى تعطيل السبيل خسارة كبيرة في الرجال والعتاد.

مصادر المتفجرات متنوعة جداً: يمكن استقدامها من الخارج.. واستعمال القنابل التي أطلقها العدو ولم تنفجر.. أو تمت صــناعتها في معامل خفية داخل منطقة الغوار.. والمِهانات المتبعة لتفجيرها متنوعة أيضاً.. وتتعلق صناعة المتفجرات كذلك بظروف الغوارة.

(1) الناقلة: كل عربة تفيد في نقل الأشخاص والأشياء.

كنا نصـــنع في معاملنا البارود ونســـتخدمه كمتفجر.. وقد اخترعنا عدة أجهزة لتفجير هذه الألغام في الوقت المرغوب.. وكانت أفضل النتائج تحصل من الأجهزة الكهربائية.. إلاَّ أن أول لغم فجرناه كان قنبلة ألقتها طائرات العدو.. وقد حشوناها بمتفجرات مختلفة. أسنِدَت هذه القنبلة بندقية ربط بزنادها مرس.. فلما مرت مدرعة عدوة شددنا المرس ففجرت الطلقة القنبلة.

ويمكن إتقـان هـذه المِهـانـات إلى حـد بعيـد.. وقـد علمنـا أنهم في الجزائر مثلاً يسـتعملون حالياً ضـد الحكم الاسـتعماري الفرنسيـ.. ألغاماً مسـيرة عن بعد تنفجر على مسافة كبيرة من نقطة إطلاقها باللاسلكي.

إن الاختباء في الدروب لتفجير الألغام ثم إبادة من يبقى حياً هو مهانة عظيمة المردود للتمون بالســلاح والذخيرة.. لأنه لا يبقى للعدو وقت لاســتخدامها ولا للهروب.. فيمكن بلوغ نتائج ذات شأن باستعمال ذخيرة ضئيلة جداً.

تضطر هذه الأعمال المرهقة العدو إلى تعديل صيالته.. و سوف يضطر لأن يجري تنقلاته بأرتال آلية حقيقية وليس في ناقلات منفردة.. إلاَّ أنه يمكن.. إذا أحســن اختيار الأرض.. الوصــول إلى ذات النتيجة.. بتقطيع أوصــال الرتل وتركيز القوى على ناقلة واحدة منه.. وينبغي في هذه الحالة عدم التجاوز عن العناصر الجوهرية لصيالة حرب الغوار: المعروفة الكاملة بالأرض..

ومراقبة سُبل التملّص وكافة الدروب الثانوية.. ومعرفة سكان المنطقة وحيازة تأييدهم الكامل من أجل التموين والنقل وإيواء الرفاق الجرحى خفيةً.. بصورة مؤقتة أو دائمة.. وأخيراً.. التفوق العددي في نقطة معينة.. وقابلية عظيمة للجؤول.. وتوفر الاحتياطات.

فإذا ما اجتمعت كل هذه الشروط.. أعطى الهجوم المفاجىء على سبل مواصلات العدو نتائج ذات شأن.

ويؤلف الموقف الواجب التزامه تجاه بني الإنسان كافة عنصراً جوهرياً في صيالة الغوار.. إن كيفية معاملة العدو هامة بحد ذاتها: يجب أن يكون الهجوم صارماً لا هوادة فيه.. ومثله الموقف إزاء كافة العناصر الحقيرة التي تتعاطى الوشاية والغيلة. إلا أنه ينبغي التوسع في الرحمة جهد المستطاع إزاء الجنود الذين يذهبون للقتال قياماً – أو ظناً منهم أنهم يقومون – بواجبهم العسكري. لا أسرى عند عدم وجود مآرِز عمليات كبيرة أو أمكنة منيعة. يجب عندئذ إعادة الحرية إلى الباقين أحياء.. ومعالجة الجرحى منهم بكافة الوسائل الممكنة. يجب أن يرتكز السلوك نحو السكان المدنيين على احترام كبير لكافة تقاليد وعادات أهالي المنطقة.. للتدليل العملي على تفوق المغاور أخلاقياً على الجندي المضطهِد. وفي ما عدا حالات خاصة.. ينبغي عدم إجراء العدالة مجراها دون إعطاء المذنب إمكان الدفاع عن نفسه.

4 – الحرب في الأرض المؤاتية

قلنا في ما سبق إن نضال الغوار لن يجري دائماً في الأرض الأكثر مؤاتاة لتطبيق صيالة الغوار.. إلاَّ أن الصيالة العامة يجب أن تكون هي هي دائماً.. قائمة على المسلّمات الأساسية لحرب الغوار.. وعندما يوجد الفريق المغاور في مناطق صعبة المسالك.. كالجبال الشجِرة أو الوعرة.. أو القفار الممتنعة على السير.. أو المرازع[1].

النقطة المهمة هي: كيف العثور على التماس بالعدو؟ كيف الاشتباك به؟ فإذا كانت المنطقة متاهة للجيش النظامي مناوئة له لدرجة أنه لا يستطيع دخولها ينبغي أن تتقدم الغوّارة حتى المناطق السالكة بالنسبة للجيش النظامي.. حيث يمكن القتال.

ومتى انقضى الطور الأول.. ومنذ أن تؤمن الغوارة أودها.. عليها أن تقاتل.. عليها لهذه الغاية أن تخرج باستمرار من ملجئها.. لكن ليس لزاماً أن تكون عظيمة الجؤول كما في الأرض غير المؤاتية لها.. يجب أن تتكيف بظروف العدو.. لكنها لا تحتاج أن تتنقل كما في الأراضي التي يستطيع العدو أن يحشد فيها سريعاً عدداً كبيراً من جنوده.. ولا يتحتم أن تكون العمليات ليلية.. وفي حالات كثيرة.. يمكن القيام بالعمليات نهاراً.. ولا سيما التنقل.. ويتعلق كل ذلك طبعاً بيقظة العدو.. براً وجواً. ويمكن أن يطول أمد القتال.. ولا سيما في الجبال. ويمكن القيام بقتالات طويلة الأمد بعناصر ضئيلة.. ويُرجَّح جداً أن يُستطاع منع وصول نجدات العدو إلى ميدان العمليات.

(1) المرزعة: الأرض التي يكثر فيها الماء والوحل.

إن مراقبة المسالك هي قاعدة لا يجوز أن ينساها المغاور أبداً.. إلاَّ أن مصاعب العدو في تلقي النجدات هي بالذات ما يزيد من هجومية المغاور.. إذ يستطيع أن يدنو من العدو أكثر.. وأن يهاجمه بمزيد من المباشرة.. وأن يقاتله جبهياً ولأمد أطول يتعلق كل ذلك طبعاً بظروف شتَى.. بكمية الذخيرة مثلاً.

وعلى الرغم مما للحرب في الأرض المؤاتية.. ولا سيما في الجبل.. من حسنات عديدة.. ثمة محذور يعتريها هو كونها لا تسمح بالاستيلاء بعملية واحدة على كمية كبيرة من السلاح والذخيرة.. لأن العدو يتخذ احتياطات في مثل هذه البقاع (ينبغي ألاَّ ينسى المغاور أبداً أن العدو هو مصدر تموينه بالسلاح والذخيرة) وبالمقابل.. فإن الغوارة تستطيع أن تستقر في هذه الأرض وتتحضر بسرعة أكبر منها في الأرض غير المؤاتية.. لتنشىء مأرِزاً مركزياً قادراً على الاضطلاع بحرب التحاصن. إنها تستطيع أن تقيم في هذه الأرض المنشآت الصغيرة التي تحتاج إليها.. وأن تحميها بالشكل الملائم من أذى الطيران والمدفعية بعيدة المدى.. كالمشافي ومراكز التعليم أو التدريب.. بالإضافة إلى المخازن ووسائل النشر... إلخ.

وتستطيع الغوارة في هذه الظروف أن تزيد من قوامها وتستطيع أن تضم رجالاً لا يقاتلون.. وحتى أن تسدي التدريب للذين سوف يستلمون السلاح الذي سوف يقع بين أيديها في المستقبل.

ويتبع عدد الرجال في الغوارة الواحدة لمقاييس مرنة.. وفقاً للمكان.. وسهولة التموين.. وفرار الناس المضطهَدين جماهيرياً من المناطق المجاورة.. وتوفر السلاح.. وحاجات المنظمة ذاتها.. ورفد المقاتلين الجُدد هو بكل حال مما يسهل كثيراً عملية التحضر.

يمكن أن يتسع قطر نشاط غوارة من هذا النمط بقدر ما تسمح بذلك عمليات الغوارات الأخرى في المناطق المجاورة.. غير أن هذا القطر يحد منه الزمن اللازم للذهاب من مكان عملية إلى منطقة آمنة.. فإذا حسبنا أن المسير لا يجوز إلاَّ ليلاً.. لن تستطيع الغوارة أن تقوم بعملية على أبعد من خمس أو ست ساعات من نقطة أمانها الأدنى. وتستطيع زمر صغيرة من المغاوير أن تنتشر طبعاً.. منطلقة من منطقة الأمان هذه.. وتستشري تدريجياً في المنطقة المجاورة.

إن الأسلحة ذات المدى البعيد والاستهلاك القليل من الذخيرة هي المنصوح بها لهذا النمط من الحرب. وتدعم بمجموعة من الأسلحة ذاتية الحركة أو نصف ذاتية الحركة.. ومن جملة البنادق والرشاشات المتوفرة في السوق الأمريكية الشمالية.. تجدر التوصية بصورة خاصة بالبندقية (م – 1) السماة «غاراند».. التي ينبغي أن يستعملها أناس على جانب من الخبرة.. إذ من محاذيرها أنها تستهلك كثيراً من الذخيرة.. ويمكن في الأرض المؤاتية استخدام أسلحة نصف ثقيلة مثل الرشاشات ذات الفوهة الثلاثية.. التي توفر لسدنتها مجال أمان أكبر. بَيْدَ أنه ينبغي أن تكون دائماً أسلحة للدفاع وليس للهجوم.

والأمثل.. من أجل غوارة قوامها خمسة وعشرون رجلاً.. هو وجود عشر - إلى خمس عشرة بندقية من ذات الطلقة الواحدة.. وحوالي عشرة أسلحة ذاتية الحركة.. تتدرج من «الغاراند» إلى المسدسات الرشاشة.. تدعمها أسلحة ذاتية الحركة خفيفة وسهلة الحمل.. مثل الرشاشات «براونينغ» أو الـ«ف. أ. ل.» البلجيكية والـ«م. 14» وهما أحدث نمطاً.. ومن بين المسدسات الرشاشة.. فإن ذات 9 مم هي المفضلة لأنها تسمح بنقل مزيد من الذخيرة.. وكلما كان صنعها أبسط كلما زاد النصح بها لسهولة تبديل قطعها في هذه الحالة. وبكل حال.. ينبغي أن يكون التسلح مماثلاً لتسلح العدو إذ أن الذخيرة التي يستخدمها هو.. هي التي سوف نستخدمها نحن متى وقعت أسلحته في أيدينا. وتهمل على وجه العموم الأسلحة الثقيلة التي يمكن أن يستخدمها العدو فالطيران لا طائل له.. لانعدام الرؤية لديه.. والدبابات والمدافع لا جدوى منها لصعوبة التوغل التي تعترضها في هذه المناطق.

والتموين أمر عظيم الأهمية.. فللمناطق الوعرة.. على العموم.. وبحكم وعورتها محاذير.. إذ أن الفلاحين (وبالتالي التموين المباشر بالمنتجات الزراعية واللحم) فيها قليلو العدد. ولاجتناب فترات الضيق المزعج.. ينبغي الاحتفاظ بطرق مواصلات مستقرة لإمكان التعويل باستمرار على حد أدنى من الزاد مخزون في أمكنة احتياطية.

وتقل عموماً في منطقة العمليات هذه إمكانات التخريب الواسعة النطاق.. فهذه المنطقة.. بحكم قلة مسالكها.. تقل فيها الأبنية والخطوط الهاتفية وأنابيب المياه التي يمكن إلحاق الأذى بها بالعمل المباشر.

ويكون من المهم للتموين توفر بعض الدواب.. وأكثرها ملاءمة هو البغل.. نظراً لوعورة الأرض.. (و ينبغي توفر مراع تسمح بتغذية مناسبة).. يستطيع البغل أن يجتاز أراض غاية في الوعورة.. حيث يتعذر المرور لأي دابة أخرى. وفي حالات الصعوبة القصوى ينبغي اللجوء للنقل على ظهور الرجال.. ويستطيع كل فرد أن ينقل حملاً زنته خمسة وعشرون كيلوجراماً لعدة ساعات في اليوم.. ولعدة أيام.

وينبغي أن تتضمن طرق المواصلات مع الخارج سلسلة من المحطات حيث يقوم أناس حائزون الثقة الكاملة.. على تخزين البضائع تخبئة عمال الارتباط. كما يمكن إنشاء طرق مواصلات داخلية يتعلق اتساعها بدرجة النمو التي بلغتها الغوارة وكنا قد استطعنا في بعض المناطق.. حيث أقيمت جبهات عمليات الغوار في كوبا.. إنشاء طرق وخطوط هاتفية طولها عدة كيلو مترات.. وكان لنا على الدوام جهاز من الرسل يغطي المناطق كافة.. في أقصر وقت ممكن.

وثمة وسائل ارتباط أخرى لم يستخدمها الغوار في كوبا.. مثل إشارات الدخان والمرايا العاكسة للشمس.. الحمام الزاجل.

ينبغي أن يعنى المغاوير بصيانة الأسلحة والذخائر.. وفوق كل شيء.. أن تكون لهم أحذية جيدة.. إنها ضرورة حيوية.. وهي ما ينبغي أن تستهدفه الجهود الأولى في العمل الحرفي لديهم.. لن تكون المعامل في البدء.. إلاَّ منشآت لتسكيف الأحذية العتيقة. ومن ثم.. إبان تنظيم العمل.. يمكن إنشاء عدة ورش تستطيع إنتاج الأحذية بمعدل يومي حسن.. إن صناعة البارود بسيطة نوعاً ما.

ويمكن إنتاج الكثير منه إذا وجد معمل صــغير وإذا جلبت العدة اللازمة من الخارج.. تؤلف الأراضي الملغومة خطراً بالغاً للعدو.. فإذا ما انفجرت في آن واحد مساحات كبيرة ملغومة.. أمكنها إزهاق مئات الرجال.

5 – الحرب في الأراضي المجافية(1)

ينبغي أن تتوفر كافة الشروط الأساسية لحرب الغوار.. من أجل الاحتراب في هـذا النوع من الأرض.. القليل الوعورة.. الخالي من الغابات.. وذي طرق المواصــلات العديدة.. وطرائق الحرب وحدها هي التي ســوف تتغير.. ينبغي أن يكون الجؤول فائقاً في هذا النمط من الغوار.. فالضربة التي تكال.. والأفضــل في الليل.. ينبغي أن تكون غاية في السرعة.. شــبه صــاعقة.. وليس على الغوارة أن تنسحب بسرعة فقط.. بل أن تبلغ أيضاً مأرِزاً جديداً.. غير مأرِز انطلاقها.. وأبعد ما يكون عن مكان الاشتباك.. متذكرة أنه ليس ثمة ملاذ ينأى عن قوات القمع.

ويستطيع الرجل أن يقطع في ليلته بين ثلاثين وخمسين كيلو متراً ولكنه يستطيع أيضــاً أن يســير في ســاعات النهار الأولى.. إلاَّ إذا كانت مناطق العمليات غير تابعة تماماً لحمى الغوارة وإذا كان أهل المحلة يشــكلون خطراً باحتمال إفشــائهم وضــع الفرقة والجهة التي اتجهتها إلى الجيش المعادي.. ففي هذه الحال يفضــل دائماً العمل ليلاً.. في صمت مرين قبل العمل وبعده.

(1) أى الأرض الوعرة.

ويتم اختبار الهزيع الأول من الليل للقيام بالعمل وهنا أيضـــاً قد تتكشــف الحســابات عن خطأ إذ يمكن وجود حالات تفضــل فيها ســاعات الفجر.. لا يجوز بأ ية حال تعو يد العدو على شــكل محدد من الحرب.. بل ينبغي تنويع الأمكنة والساعات وطرائق العمل باستمرار.

و قد ذكر نا آنفاً أن العمل لا يمكن أن يكون طو يل الأ مد.. بل سريعاً و بالغ الفعالية يدوم بضع دقائق.. ويعقبه الانسحاب فوراً.. ولا تكون الأسلحة المستعملة في هذه الحالة مثلها في الأرض المؤاتية..

ويفضــل توفُّر أكبر عدد من الأســلحة ذاتية الحركة: ففي الهجمات الليلية ليســت الدقة هي العامل الحا سم.. بل تركيز الرمي.. فكلما كان رمي الأ سلحة ذاتية الحركة أكثب[1].. كلما ازداد احتمال القضاء على العدو.

ثم إن انفجارات الألغام في الطرقات وهدم الجســور هي عوامل رئيســية. تكون الهجمات أقصر وأقل تواتراً.. ولكن يمكن أن تكون عنيفة جداً.. وتستخدم أسلحة مختلفة مثل الألغام الســابق وصــفها وبارودة الصــيد.. بارودة الصــيد ســلاح فتاك للناقلات المكشوفة المستخدمة لنقل الجنود.

(1) أكثب: أشد قرباً إلى الهدف.

أو للناقلات ذات الغشاية التي ليس لها حماية خاصة.. كالشاحنات مثلاً.. والبارورة ذات الفشك المحشو بالخردق الغليظ[1] فعالة للغاية.. ليست سلاحاً خاصاً بالغوار.. فهي تستخدم أيضاً في الحروب النهجية.. وقد كان للأمريكيين سرايا من المشاة ذات بنادق رفيعة الجودة مجهزة بحراب.. لتطهير ملاجىء الرشاشات.

ثمة مسألة هامة هي مسألة الذخيرة. إنها تغنم من العدو دائماً تقريباً. لا ينبغي كيل الضربات إلاَّ حيث يتم التأكد تماماً من إمكان تعويض الذخيرة المستعملة.. إلا إذا توفرت مخزونات كبيرة مخبوءة في حرز أمين.. بعبارة أخرى.. لا يسوغ شن هجوم على جماعة من الرجال إذا كلف ذلك كل الذخيرة المتوفرة.. دون إمكان تعويضها. وينبغي دائماً.. في صيالة الغوار.. أن يحسب الحساب للمسألة الخطيرة التي يشكلها التموين بالعتاد الحربي.. وهو الجوهري لمتابعة النضال.. وينبغي إذاً أن تكون الأسلحة مماثلة لأسلحة العدو.. باستثناء المسدسات والبنادق التي يمكن الحصول على ذخيرتها في المدينة أو في منطقة الغوار ذاتها.

يجب ألا يتجاوز قوام غوارة من هذا النوع عشرة أو خمسة عشرة رجلاً.. ويكون في غاية الأهمية أن يؤخذ بالحسبان دوماً تحديد قوام الوحدة المقاتلة: فيمكن لعشرة أو أثني عشر أو خمسة عشر رجلاً أن يختبئوا في أي مكان..

(1) الفشك المحشو بالخردق الغليظ .

وهم يكافحون العدو بمقاومة فعالة متعاونين فيما بينهم.. وربما كان أربعة أو خمسة غير كافين.. أما إذا تجوز العدد العشرة.. يتفاقم كثيراً إمكان تحديد موضعهم من جانب العدو إبان السير أو في مأرِزهم.

تذكروا أن سرعة الغوارة إبان السير تساوي سرعة أبطأ رجالها.. ويصعب إيجاد وهَّازة سير واحدة لدى عشرين أو ثلاثين او أربعين رجلاً.. أكثر منه لدى عشرة. وينبغي أن يكون مغاور السهل إطلاقاً.. عدَّاءً سريعاً.. فينبغي أن تتجلى في السهل ممارسة مبدأ «إضرب واهرب» بأكمل تعبير لها. ولغوارات السهل محذور بالغ هو إمكان تطويقها بسرعة.. وافتقارها لحروز أمينة تستطيع أن تبدي منها مقاومة فعالة. فعليها بسبب ذلك أن تعيش في خفاء مطلق إبان جزء كبير من الطور الابتدائي.. فلا تستطيع أن تثق بأي جار لم تختبر أمانته اختباراً تاماً.. إن أعمال قمع العدو تبلغ على العموم مبلغاً من العنف والوحشية.. وتصيب ليس رب الأسرة فقط.. بل النساء والأطفال في أحياء كثيرة بحيث يمكن أن تحدو بهم إلى «التخاذل» وإعطاء المعلومات عن مكان وجود الغوارة وطرائق عملها.. مما يسبب تطويقاً ذا نتائج مزعجة دوماً وإن لم تكن مميتة بالضرورة بالنسبة للغوارة.. وينبغي أن تنشط الغوارة متى سمح التموين بالسلاح أو حالة الشعب الثورية بزيادة عدد الرجال.. وتستطيع الغوارات المختلفة.. إذا لزم الأمر.. أن تجمتع في وقت ما لكيل ضربة هامة.. لكن بحيث تعود لتوّها تنقسم إلى جماعات صغيرة من عشرة إلى خمسة عشر رجلاً تتبعثر باتجاه مناطقها المعتادة.

ويمكن تنظيم جيوش حقيقية.. ذات قيادة واحدة تحوز الاحترام والطاعة.. دون الاضطرار إلى البقاء في جماعة واحدة.. وهذا ما يولي أهمية عظمى لانتخاب قائد الغوارة.. إذ ينبغي التأكد من أن هذا القائد سيكون مسؤولاً كلياً من الناحية الفكرية والشخصية.. أمام أعلى قائد في المنطقة.

البازوكة هي أحد الأسلحة التي يمكن استخدمها في الغوار.. إنها سلاح ثقيل.. عظيم الفائدة نظراً لسهولة نقله واستعماله. ويمكن أن يستعاض عنه إذا اقتضى الأمر.. بالرمانة ضد الدرع. البازوكة طبعاً سلاح يغنم من العدو: إنه سلاح أمثل للرمي على الناقلات المدرعة.. والناقلات غير المدرعة المحملة بالجنود وللاستيلاء بسرعة على مراكز عسكرية صغيرة ذات حاميات قليلة.. لكنه ينبغي التنويه بأنه يتعذر لرجل واحد أن يحمل أكثر من ثلاث صِمامات.. إذ تشكل هذه لوحدها مجهوداً بالغاً.

وفيما يتعلق بالأسحلة الثقيلة التي تُغنم من العدو.. ينبغي الاجتهاد لعدم إضاعة أي منها.. بَيْدَ أن بعض هذه الأسلحة.. مثل الرشاش المنصوب والرشاش من عيار 50.. يمكن إذا ما غنمت.. استخدامها بشيء من عدم الاكتراث لخسارتها: فلن نقاتل في ظروف مجافية لنا.. ذوداً عن رشاش ثقيل أو سلاح من هذا القبيل.. بل سيستخدم بكل بساطة

حتى اللحظة التي يتحتم فيها تركه في موضـــع ما.. كان التخلي عن ســـلاح في حربنا التحررية يشكل جنحة خطيرة ولم يصدف قط أن قُبل العذر الذي نوهنا عنه.. غير أننا نلحظ ذلك.. مؤكدين على هذه الحالة الفريدة التي لا يكون فيها التخلي عن السلاح مدعاة للنقد.. إن سلاح المغاور في الأرض المجافية.. هو سرعة رميه.

إذا كانت منطقة ما سهلة المسلك.. فهي على العموم مأهولة وتصادف فيها كثافة فلاحية كثيرة.. يتأتى هذا الواقع بشـــكل ملموس مع إمكانات التموين.. فبتوفر أناس موثوقين.. ذوي صـــلات مع مراكز توزيع المؤن.. تســـتطيع الغوارة أن تقوم بأودها.. دون تخصـــيص الوقت والمال لإقامة خطوط التموين الطويلة المحفوفة بالخطر.. ويحســـن بالمرء التذكر أنه كلما كان عدد الرجال صـــغيراً كلما تأمن الغذاء بســـهولة.. والمؤن الجوهرية.. مثل شِـباك النوم والبطانيات والأقمشـة الكتيمة للماء والكِلل[1] والأحذية والأدوية والغذاء.. متوفرة في المنطقة مباشرة ما دامت هي حاجات شائعة الاستعمال لدى السكان.

وتضـحى المواصـلات أسـهل كثيراً إذ يمكن الاعتماد على عدد أكبر من الرجال ومن خطوط الموصـلات.. إلا أن الأمان الضرـوري لنقل الرسـائل إلى نقطة بعيدة يتضـاءل.. إذ يلزم هذه الحالة عدد من عمال الارتباط يقتضيـ الوثوق بهم.. ويبقى احتمال القبض على أحد هؤلاء الرســلاء الذين يجوبون المناطق العدوة باســتمرار.. خطراً دائماً..

(1) الكِلَّة (جمع كلل): غشاء رقيق يُتوقّى به من البعوض. وتعرف في بلاد الشام بـ«الناموسية».

فإذا لم تكن الرسائل غاية في الأهمية.. يفضل استخدام الصيغة الشفهية. أما إذا كانت بالغة الأهمية.. فينبغي كتابتها بالرمز.. وقد أثبتت التجربة أن النقل الشفهي من فم إلى أُذُن يشوه كل مخابرة تشويهاً تاماً.

ولهذه الأسباب ذاتها تفقد الصناعات من أهميتها.. ولن يستطاع إنشاء معامل للأحذية أو السلاح.. ويجب الاقتصار عملياً على ورشات صغيرة حسنة التمويه.. حيث يمكن إعادة حشو فشك البنادق.. وصنع نمط ما من الألغام .. وقطع من السلاح .. وكل ما يحتاج إليه في الحال.. وبالمقابل.. يمكن الاعتماد للقيام بالأعمال الضرورية.. على كل الورشات الصديقة في المنطقة.

نصل إلى النتيجتين اللتين تنتجان منطقياً مما أسلفنا.. النتيجة الأولى هي أنه.. في إطار حرب الغوار.. تتناسب شروط التحضُّر عكساً مع درجة تطور المنطقة المعنية. فالمرافق تدفع الإنسان إلى التحضر.. ولكن العكس هو الذي يحدث بصدد الغوار: فكلما لاقى المغاور رفاهاً أكبر أصبحت حياته أقل ثباتاً وأكبر بداوة. إن عنوان هذا الفصل هو بالضبط «الحرب في الأرض المجافية» لأن كل ما هو لحياة الإنسان وما ينتج عنه من مواصلات.. ومراكز مدنية.. أو نصف مدنية.. وتجمعات السكان الكبرى.. والأراضي التي يسهل شغلها بالآلة.. كل ذلك مما يجافي وضع المغاور.

والنتيجة الثانية: إذاكان الغوار يستلزم بالضرورة عملاً جماهيرياً هاماً.. فإن هذا العمل يزداد أهمية في المناطق المجافية.. حيث يمكن لهجوم واحد من العدو أن يسبب نكبة.. وينبغي ههنا أن تكون الدعاية مستمرة لتحقيق وحدة العمال والفلاحين وسائر الطبقات الاجتماعية في المنطقة.. للتوصل إلى جبهة داخلية متجانسة تماماً ومتفقة مع المغاوير..

والنظر إلى هذا العمل الجماهيري الدائب بصفته العامة كعلاقات بين الغوارة وبين سكان المنطقة.. لا يجيز نسيان الفردية لعدو مكابر ينبغي إزالته بلا ندم إذا ما شكَّل خطراً.. وينبغي أن تكون الغوارة صارمة بهذا الصدد.. فلا يمكن بقاء أعداء داخل منطقة العمليات.. في أماكن غير أمنية.

6 – الحرب في المناطق المدنية

إذا ما صار الأمر في مرحلة معينة من حرب الغوار.. إلى مهاجمة المدن.. بعد التوغل في الريف المجاور على نحو يتيح إنشاء الغوارات فيه بشيء من الأمان.. يلزم عندئذ تزويدها بتنظيم خاص.

ينبغي التنويه بأن الغواراة لا يمكن أن تنشأ عفوياً في منطقة مدنية. لن تقوم إلا بعد أن تنشأ بعض الشروط الضرورية لوجودها.. يشير هذا الواقع من ذاته إلى أن الغوارة في ضاحية المدينة تو ضع مباشرة تحت إمرة قادة موجودين في منطقة أخرى. على أن وظيفتها لن تكون القيام بمعمل مستقل.. بل على العكس.. تقع في نطاق مخططات ريادية محددة سلفاً.. وستكون وظيفتها هي ردف عمل جماعات أكثر أهمية في منطقة أخرى.. والإسهام في نجاح فكرة صيالية معينة.. دون أن تبلغ اتساع عمليات الغوارات غير المدنية.. لن تستطيع غوارة في منطقة مدنية أن تختار بين تخريب المواصلات أو القيام بالاغتيالات أو مداهمة دورية جنود على طريق نائية.. بل سوف تقوم بما يطلب منها بالضبط.. فإذا كان دورها هو قطع الأعمدة.. أو الأسلاك الكهربائية.. أو الخطوط الحديدية أو أنابيب المياه.. فعليها الاقتصار على تنفيذ هذه المهمات بدقة.

ينبغي ألاّ يتجاوز قوامها أربعة أو خمسة رجال.. إن هذا التحديد هام لأنه ينبغي اعتبار الغوارة في ضاحية المدينة قائمة في أرضٍ تبلغ مبلغاً استثنائياً من المجافاة لها. فالعدو هنا بالغ اليقظة.. وتزداد إمكانات التنكيل والوشاية إلى حد عظيم. وثمة ظرف مشدَّد لصعوبتها.. إذ لا ينبغي نسيان أن الغوارة في ضاحية المدينة لا تستطيع الابتعاد عن مواضع عملياتها.. فإلى سرعة عملها وتنقلها ينبغي أن يضاف الابتعاد الضئيل نسبياً عن مكان العمل.. فهي غوارة ليلية بالدرجة الأولى.. ولن تستطيع تعديل عملها ما لم يسمح تقدم الثورة بمحاضرة المدينة واشتراك الغوارة في الحصار كمقاتلة عاملة.

ينبغي أن تكون الصفات الجوهرية لدى هذا المغاور: مزيداً من الانضباط عما لدى المغاوير الآخرين إذا كان ذلك ممكناً بعد.. والكتمان. ولن يستطيع التعويل إلاَّ على بيتين أو ثلاثة بيوت صديقة لإيوائه. إنه على مثل اليقين من أن التطويق في هذه الظروف يعدل الموت. ولن يكون السلاح مثله لدى الزمر الأخرى. سوف تكون أسلحة دفاعية فردية يمكن إخفاؤها ولا تعمق هروباً سريعاً. لن يكون لدى الزمرة إلا بندقية واحدة أو اثنتين في الحد الأقصى ـ (أو بنادق مقصورة القناة).. ولدى أعضاء الزمرة مسدسات.

لن تتم أية محاولة هجوم إلاَّ فُجاءً.. ضد فرد أو اثنين من جيش المعادي.. أو ضد دائرة استخبارات وسوف يركز العمل على التخريب المنظم.

ويسلتزم التخريب عتاداً هاماً: مناشير.. ديناميت.. معاول ورفوشاً وأدوات لرفع السكك.. وأخيراً.. تجهيزاً آلياً مناسباً للمهمات المطلوبة.. مخبوءاً في حرز أمين.. إلا أنه في متناول اليد عند الحاجة.

وإذا وجدت أكثر من زمرة واحدة.. فسوف ترتبط جميعاً بقائد واحد.. يوجه كل المهمات الضرورية بواسطة عمال ارتباط مدنيين موثوقين كل الثقة.. يستطيع المغاور في بعض الحالات أن يحافظ على العمل الذي كان يزاوله زمن السلم.. ولكنه أمر عسير جداً.. وسوف تكون الحرب في ضواحي المدن عملياً واقع فريق من الرجال قد لزموا الاختفاء.. منظمين مثل الجيش.. وموجودين في الظروف المجافية لهم كما وصفناها.

لقد أبخس النضال في المنطقة المدنية قدره كثيراً.. إلاَّ أنه في غاية الأهمية.. إن عملاً جيداً واسع النطاق يشل الحياة التجارية والصناعية في القطاع شللاً شبه تام ويضع السكان كافة في وضع من عدم الاطمئنان والقنوط والقلق بحيث يتمنون حوادث عنيفة للخروج من هذا الانتظار. فإذا ما جرى التفكير بالمستقبل منذ ابتداء الحرب.. وتم تكوين اختصاصيين لهذا النمط من القتال.. فسوف يتم ضمان عمل أكثر سرعة بكثير.. وبالتالي اقتصاد ثمين للأمة في الأرواح والزمن.

مذكرات لدراسة إيديولوجية الثورة الكوبية

نشر تشي مذكراته بعنوان «مذكرات لدراسة إيديولوجية الثورة الكوبية».. وهي دراسة عميقة للثورة..وفيها يتحدث عن المبدأ اللينيني القائل: لا حركة دون نظرية ثورية؟

وفيها يقول جيفارا:

«يحسن القول أن النظرية الثورية.. كتعبير عن حقيقة اجتماعية.. تسمو على كل بيان.. وبعبارة أخرى.. أن الثورة يمكن أن تتم إذا فسرنا تفسيراً صحيحاً الواقع التاريخي واستخدمناها استخداماً ملائماً للقوى التي تتدخل في هذا الواقع.. دون أن نعرف النظرية... ويجب أن يكون المرء «ماركسياً» بالبساطة ذاتها التي يكون فيها «نيوتونياً» في الفيزياء و «باستورياً» في البيولوجيا[1].

وبما أن المستجدات الجديدة في الواقح الكوبي تحدد مفاهيم جديدة.. فإن ذلك لا ينزع أبداً جانب الحقيقة من المفاهيم التي انقضت.. يعني هذا.. ويجب أن نشير إليه مرة أخرى.. أن قوانين الماركسية حاضرة في أحداث الثورة الكوبية.. بصورة مستقلة عن واقع قد يقول أن قادتها يجاهرون بهذه القوانين أو يعرفونها معرفة عميقة من الناحية النظرية».

(1) تعبير جديدة استخدمه جيفارا نسبة لعالم الفيزياء الأشهر تاريخياً وهو «نيوتن».. أما «باستورياً» فنسبة للعالم الإنجليزي الشهير «هنرى باستور»

ويستطرد في نفس المذكرات قائلاً:

« لقد توقفت عند هذه الاستشهادات.. إلا أنني اعتقد أنها تظهر بأكبر قدر من الصفاء والوضوح.. كيف أُعِد فكر الثورة الكوبية إعداداً تدريجياً.. دون تخطيطات مبسطة قبلية.. وكذلك دون خوف مما قد يلصق بها.

وقد نشأت.. من جهة أخرى.. لدى فيدل أولاً.. ولدى غيره من القادة الكبار أيضاً.. إرادة إبعاد كل تضليل لغوي يدفعهم إلى رفض العبارة النمطية الجامدة لمصلحة الاقتراب من الواقع عن طريق الشرح.

إن القول أن كوبا تمضي ـ في طريقها لإقامة ديكتاتورية مثلاً لن يفيدنا كثيراً بل قد يزعج المراقب قليل الحذر.. فالأفضل أن نشرح ما يجري فيها.. وعندما تتلقى هذه الواقعة.. بصورة لاحقة.. اسماً.. فسيكون هذا الاسم غنياً في مغزاه بدلاً من أن يكون صيغة جوفاء رنانة.. أو يحدث انتكاسات انفعالية متأصلة الجذور تستطيع الممارسة وحدها توضيحها.

وهكذا لم نقم بالثورة الاشتراكية إلا بعد أن اتخذت الثورة الكوبية تدابير اشتراكية خاصة عام 1960 خاص في النصف الثاني من ذلك العام.. مدفوعة بالوقائع ذاتها.. حتى بعد أن قوبلت بحماس عدالة هذه التدابير لدى صدور تصريح هافانا الثاني.. والتي أكدها فيدل كاسترو عشية الغزو في 16 إبريل 1961.

كوبا.. شذوذ تاريخي.. أم طليعة الكفاح ضد الاستعمار

تحت العنوان السابق نشر جيفارا بتاريخ 9 إبريل 1961 شرحه الخاص وتأصيله للثورة الكوبية.. وصنفها ضمن أهم أحداث القرن التاريخية الكبرى.. المتميزة بالنضالات المعادية للاستعمار وبالانتقال نحو الاشتراكية».

ويعترف تشي في نصه ذلك بأن العوامل الاستثنائية المشكلة.. والمساعدة على قيام تلك الثورة معظمها عوامل نادرة الحدوث مجتمعة.

وقال أن العامل الأول.. والأهم.. وربما الأكثر أصالة.. هو تلك القوة الطبيعية المسماة فيدل كاسترو .

ومن بين تلك العوامل أيضاً أن الإمبريالية الأميركية الشمالية قد ضللت ولم تستطع قط أن تقدر الأبعاد الحقيقية للثورة الكوبية.

لكنه يشير بخاصة إلى « أن الجذور الدائمة لجميع الظواهر الاجتماعية في أميركا.. والتناقضات التي تنضج في داخل المجتمعات الراهنة.. تثير تحويلات يمكن أن تبلغ مدى ثورة كالثورة الكوبية».

في هذا النص يمكننا القول أن الفكر السياسي لدى تشي ـ جيفارا قد بلغ أعلى درجات النضج.. وانطلاقاً من هذه اللحظة.. وسنراه يتحدث في خطبه الدولية الكبرى.. مثل خطبه التي ألقاها في جنيف.. والأمم المتحدة.. أو الجزائر.. ومصر..وكأنه الناطق الرسمي.. أو المتحدث فوق العادي باسم شعوب.. ودول العالم الثالث.

فنراه مثلاً يقول :

إن الثورة الكوبية لم تكّون فكراً خاصــاً بها وحدها.. دون أن تكّونه في الوقت نفســه للبدان الأخرى التي تجتاز ظروفاً مماثلة لتلك التي تمر بها كوبا.. وفي طليعتها بلدان أمريكا الجنوبية.. وكذلك بلدان قارتين أخريين ناميتين[1].

وكان عمر جيفارا 24 عاماً فقط عندما كتب في يومياته يقول:

«علمت أنه حين تشـق الروح الهادية العظيمة الإنسـانية إلى شـقين متصـارعين.. سـأكون إلى جانب الشـعب.. أعلم هذا.. أراه مطبوعاً في سـماء الليل.. أرى نفسي- قرباناً في الثورة الحقيقية.. المعادل العظيم لإرادة الأفراد».

ولعل كتابة مثل هذا النص.. وفي وقت مبكر من حياته.. تكشــف عن عمق مشاعره الإنسانية.. وعن سحر الأناقة اللغوية في مفرداته.

لكن بالرغم من ذلك كان رجل حربٍ من الطراز الأول.

صلبٌ.. لايلين..

جلِد.. لا يشتكي..

صبور..

صعب المِراس.. لاينثني عن عزمه..

(1) يقصد بالطبع قارتي آسيا.. وإفريقيا.

وتجلى كل ذلك في خططه.. وممارســاته أثناء قيامه بعملياته العســكرية التى كان يجب أن يطلق عليها «حرب العصابات» وهو المنظر الأول لذلك النوع من القتال.. بالشكل الذي استعرضناه سابقًا والذي هزم به أعنى الأنظمة المتسلطة.

لايفل الحديد إلا الحديد

ولم يستطع عدوه أن يسقطه من علياء ثوريته.. ويقضى عليه إلا بنفس سلاحه.. أى على طريقة «حرب العصابات» بالشكل الذى سنعرض له لاحقاً.. في ترسيخ مباشر.. وقوى لمقولة «لا يفل الحديد إلا الحديد».

وذلك عندما بدأت المرحلة الاخيرة من المطاردة التي استمرت أكثر من سنتين..وفشلت خلالها الولايات المتحدة فشلاً ذريعاً بعد أن استعملت مختلف الوسائل للقضاءعلى حرب العصابات التي يقودها .

وفي إبريل 1967 بعد أن ألقت السلطات البوليفية القبض على المفكر الفرنسي_ الماركسي_ ريجيس دوبريه.. واتهمته بالتعاون مع جيفارا وأنصاره.. وسجنته وعذبته لتنتزع منه اعترافاً بمكان جيفارا.. وبعد ذلك بفترة قصيرة.. أعلن رئيس الجمهورية البوليفية الجنرال رونيه بارينتوس بأنه واثق هذه المرة من القبض على جيفارا حياً أو ميتاً.

ولم يكن بارينتوس يعتمد في عملية مطاردة واصطياد جيفارا على رجاله وحدهم..

ولا على بعض رجال العصابات الذين تخلوا عن جيفارا وحاولوا الكشف عن مكانه.. بل كان يعتمد على قوات متخصصة في حرب العصابات والتصدي للثوار بوسائل علمية مدروسة دقيقة.

مدرسة حربية خاصة لحرب العصابات

ففي بنما.. كانت وزارة الدفاع الأمريكية قد أنشأت من قبل سنة 1949 مدرسة حربية خاصة يتم فيها تدريب جنود أمريكيين على يد ضباط يمتازون بكفاءة علمية عالية.. ويتخرجون متخصصين بالحرب في مناطق أمريكا اللاتينية الصعبة الشائكة.

وعند تنامى خطر جيفارا تم تخصيصها لتدريب الجنود على أصول وأساليب حرب العصابات.. لمواجهة موجات المد الثوري في أمريكا اللاتينية.. واستمر التدريب أربعين اسبوعاً.. خضع خلالها الجنود لأشد وأقصى أنواع التدريب العسكري.. وكان يتم وضعهم في الظروف نفسها التي سيتعرضون لها حين يواجهون رجال العصابات في الجبال والغابات.

أصحاب القبعات الخضراء

أُطلِقَ على هؤلاء الجنود « جنود القبعات الخُضر»..وأصبحوا هم المسئولون..والمكلفون بمطاردة جيفارا.. وانطلقوا في مهمتهم عبر أدغال بوليفيا.. ينصبون لفريستهم المنتظر الفخ تلو الفخ..محاولين إيقاعه.. والقضاء عليه بأية وسيلة.

حصار رامون

واستمرت هذه العملية شهوراً.. حتى جاء الخريف.. وأطل شهر أكتوبر.. فإذا بالجنرال بارينتوس يعلن للصحافيين أن القوات المسلحة – كان يقصد بها قوات القبعات الخضراء – تحاصر جماعة من رجال العصابات وعلى رأسها القائد رامون وهو احد أسماء جيفارا المستعارة.

وقال بارينتوس هذه المرة سوف نقبض على «تشي» ولن يستطيع أن يهرب منا.

لكن القوات لم تستطع أن تقبض إلا على رجلين من رجال «رامون» اعترفا بأن تشي هو فعلا قائدهما.. وأنه موجود في مكان ما بالقرب من منطقة(فاليجراندي).

وقال الرجلان بأن مرض الربو قد اشتد على جيفارا.. ولم يعد يستطيع التنفس إلا بصعوبة.. وانه لا يتحرك الا على ظهر بغل.. وهو لا يهتم بشيء.. ويظهر احتقاراً بالغاً لحياته.



خاتمة

ماذا تبقى من جيفارا..؟

◆◆◆

مثل كل الملاحم الأسطورية.. بدأت قصة الطبيب الأرجنتينى المغمور الذى ترك مهنته وموطنه الأصلى للكفاح من أجل تحرير فقراء الأرض.. برحلة بحرية.. وانتهت بإعدامه فى «فاليجراند» وهو لا زال فى التاسعة والثلاثين من عمره.

وتم عالمياً تدشين أسطورة اسمها «جيفارا» عززها هيئته التى تماثل شكل المسيح (فى زعم أبناء الغرب) وهو مسجى على فراش الموت وعيناه الخارقتان للعادة تكادان أن تفتحا.. وبقيت كلماته :

- «**اقتل أيها الجبان.. فإنك سوف تقتل رجلا فحسب**» .

ترن.. ويتردد صداها داخل جنبات التاريخ ليضم آذان قاتليه الذين خافوه بعد موته بأكثر مما كانوا يخافونه وهو حى .

وصيحة:

« **سوف يبعث حياً من جديد** ».

« **لن ندعه أبدًا يذهب إلى دائرة النسيان** ».

التى كان الشباب يتصايحون بها فى أواخر الستينات.. لا تزال تدوى متقدةً بالحماس فى شوارع التاريخ.. كل هذا قد جرى صهره وسكبه فى عقل وذاكرة تلك الأيام المفعمة بالتحدى.

ولم يتبقى من جيفارا إلا ذكرى.. وبضعة أشياء هي:

بضعة خصلات من شعره

طالعتنا ذات صبح وكالات الأنباء العالمية بنبأ أثار اندهاش كثيرين.. وهو أن هناك عميل سابق لوكالة المخابرات الأمريكية (C.I.A) من أصل كوبي يدعى جستافو فيولدو كان يبلغ من العمر وقتها 71 سنة.. وهو واحد من عملاء الوكالة الذين حضروا عملية إعدام جيفارا.. ونقلوا عنه عبارته الشهيرة التي كانت آخر ما قال.. حين صاح مزمجراً في وجه الجندي الذي كلف إطلاق الرصاص قائلاً :

«ما بك؟ أطلق النار.. إنك تقتل رجلاً».

يأمل في أن يجمع ثروة كبيرة من خلال عرضه للبيع بضعة خصلات من شعر ارنستو تشي جيفارا في مزاد علني في مدينة دالاس بولاية تكساس.

وردت جريدة الشرق الأوسط الدولية بأن الرئيس الفنزويلي هوجو تشافيز أوعز لمساعديه بشراء ما سيعرض في المزاد من مقتنيات تشي جيفارا.. على اعتبار أنها تعود إلى «ثائر أسطوري» ويجب عدم المتاجرة بها.

وقد أثارت عملية بيع هذه الخصلات.. موجة استياء واسعة النطاق.. حيث قالت زوجة جيفارا إنها :«إهانة لذكرى بطل.. إنه أمر مفزع».

وقال الإعلان أنه سيعرض إلى جانب خصلات الشعر.. بعض صور جيفارا بعد مقتله وهو مسجي فوق نقالة وعيناه مفتوحتان.. إضافة إلى بصماته التي أخذت منه قبل قتله.

المزاد قُدِرَ له أن يفتتح بمبلغ 100 ألف دولار.

وقال في حينه توم سلاتر مدير مزاد التراث في دالاس.. أن جستافو لديه مقتنيات أخرى.. لكنه لا يرغب في التخلي عنها.. وقال :«هو غير راض عن الهالة الأسطورية التي راحت تحيط بجيفارا ويعتبره قاتلاً».

ونسب إلى غستافو فيولدو.. قوله إنه أراد أن يبرهن لرؤسائه آنذاك عن طريق تلك الخصلات.. والصور.. والبصمات أنه شارك في إنجاز تلك المهمة.. ويقصد قتل جيفارا.

وأشار سلاتر إلى أنه تلقى رسائل احتجاج على عملية المزاد.. ذاكرًا أن إحدى الرسائل كُتِبَ فيها :«المزاد عملية تحريف يرتكبها عديمو الضمير.. الذين يعتدون على ذكرى تشي جيفارا وهو شخص لا يمكن أن ينسى».

وكتاب وضعته زوجته

أصدرت «اليدا مارش» أرملة الثائر جيفارا وأن أولاده الأربعة كتاباً حول حياتها مع «تشى».. فى كوبا بين 1959 و1965 وقالت لدى تقديم كتابها الذى يحمل عنوان «ذكريات».. أنها لم ولن تعطى للصحفيين أية مقابلات.. وأن كل ما لديها مكتوبًا فى هذا الكتاب.

وبضع كلمات من أقواله تحولت إلى أمثال:

- كنت أتصور أن الحزن يمكن أن يكون صديقا لكنني لم أكن أتصور أن الحزن يمكن أن يكون وطنًا نسكنه.. ونتكلم لغته.. ونحمل جنسيته.
- أينما وجد الظلم فذاك هو وطني.
- من شدة حبي سأموت.. يوماً ما سأموت لا حزناً أو حسرة.. لكن من شدة حبي !! من شدة حبي لك يا وطني المحتل يا زهرتي.
- لا تحزني أمي إن متُ في غضِ الشباب غداً سأحرض أهل القبور واجعلها ثورة تحت التراب.
- الصمت فن عظيم من فنون الكلام.
- قد يكون من السهل نقل الإنسان من وطنه.. ولكن من الصعب نقل وطنه منه .
- أنا لا أوافق على ما تقول.. ولكني سأقف حتى الموت مدافعًا عن حقك في أن تقول ما تريد..
- الإنسان صاحب المبادئ.. هو من مات ولم يتخل عن مبادئة !!!
- أنني أحس على وجهي بألم كل صفعة توجه إلى مظلوم في هذه الدنيا.
- لقد تعلمنا الماركسية من الممارسة العملية.. في الجبال .

• عزيزتي تمسكي بخيط العنكبوت ولا تستسلمي (من رسالة إلى زوجته إلييدا) .

• إن من يعتقد أن نجم الثورة قد أفل فإما أن يكون خائنًا.. أو متساقطا.. أو جبانًا.. فالثورة قوية كالفولاذ.. حمراء كالجمر.. باقية كالسنديان عميقة كحبنا الوحشي للوطن .

• كل قطرة دم تسكب في أي بلد غير بلد المرء سوف تراكم خبرة لأولئك الذين نجوا.. ليضاف فيما بعد إلى نضاله في بلده هو نفسه.. وكل شعب يتحرر هو مرحلة جديدة في عملية واحدة هي عملية إسقاط الإمبريالية.

• لا يستطيع المرء أن يكون متأكدًا من أنه هنالك شيء يعيش من أجله.. إلا إذا كان مستعدًا للموت في سبيله .

• أنا لست محرراً.. المحررون لا وجود لهم.. فالشعوب وحدها هي من تحرر نفسها .

• لا أعرف حدوداً فالعالم بأسره وطني .

• مرة.. قال لرفيق له كان يقاتل بجانبه في الأدغال.. والرصاص ينهال عليهما : أتدري كيف أتمنى أن أموت ؟كما تمنى قصة بطل «جاك لندن » لقد قال : « إما أن انتصر.. أو أموت.. وكثيرون سقطوا في طريق النصر الطويل » .

• « لا يهمني متى وأين سأموت » لكن يهمني أن يبقى الثوار منتصبون.. يملأون الأرض ضجيجا.. كي لا ينام العالم بكل ثقله فوق أجساد البائسين والفقراء والمظلومين.

•

• الإصلاح الزراعي هو حجر الزاوية في أية ثورة.. فليست هناك حكومة يمكن أن تصف نفسها بأنها حكومة ثورية.. إذا لم تنفذ برنامجًا جذرياً للإصلاح الزراعي .

• نحن ننظر إلى الماركسية كعلم متطور.. تمامًا كالبيولوجيا في العلوم الطبيعية .

• الا شتراكية الاقتصادية الجافة لا تهمني.. وأؤمن خا صة بالإنسان.. الذي هو أساس كل شيء.. أن الأمر يتطلب بناء مواطن من نوع جديد.

• علينا أن نصل إلى الضمير الاشتراكي قبل الخطط الاشتراكية.. وأن نبني الإنسان الجديد ونغير عقلية الجماهير إذا أردنا فعلاً أن نحقق المجتمع الاشتراكي المنشود .

• إن الاشتراكية الحقيقية تأتي فقط حين يصبح ضمير كل فرد هو الضمير الجماعي.. والضمير الجماعي هو ضمير كل فرد.. ويتطلب ذلك بناء جدياً وعميقاً وطويل المدى .

• كنا نريد إنشاء المدارس.. فأنشأناها.. وكنا نريد إنشاء المستشفيات فأنشأناها أيضًا.

• إننا نبني الا شتراكية على أر ضنا ونضع حبة الرمل الصغيرة هذه في خدمة أمل الإنسانية الأكبر.

• لابد من إلغاء استغلال الإنسان للإنسان.. هذا الإنسان الذي يشكل الاستعمار ألدَّ عدوٍ له .

•

• إنَّ آلاف الأطفال الفقراء في كوبا.. يمنعون أولادي من أن يلعبوا بالدمى كأطفال الأغنياء.

• كلّ الناس تعمل وتكدّ وتنشط لتتجاوز نفسها.. لكنّ الهدف الوحيد هو الربح.. وأنا ضدّ الربح.. ومع الإنسان.

• ماذا يفيد المجتمع.. أي مجتمع.. إذا ربح الأموال وخسر الإنسان؟.

• إنَّ الواجب المعنوي والسياسيّ للدول الاشتراكية يتطلّب منها تصفية كلّ نوع من التعاون مع الدول الرأسمالية في الغرب.

• نحن مرتبطون أشدّ الارتباط بقوة المعسكر الاشتراكي ووحدته.. لذلك فإنَّ الخلاف السوفيتي – الصيني يشكّل خطراً شديداً علينا.

• الخطّ الصيني بقيادة ماو تسي تونج هو الخطّ الماركسي الثوري الصحيح.. وأما خطّ موسكو فهو يميل إلى «بورجوازية وبيروقراطية الدولة..» وإلى التساهل في الكثير من الأمور الثورية الحقيقية.

• التعسون هم مصدر القوة في العالم.

• إنّ الثورة تتجمّد.. والثوار ينتابهم الصقيع حين يجلسون على الكراسي ويبدأون بناء ما ناضلت من أجله الثورة.

• هذا هو التناقض المأساوي في الثورة: أن تناضل وتكافح وتحارب من أجل هدف معيّن.. وحين تبلغه.. وتحقّقه.. تتوقّف الثورة وتتجمّد في القوالب.. وأنا لا أستطيع أن أعيش ودماء الثورة مجمّدة داخلي.

• إنّني أؤمن بأنَّ النضال المسلّح هو الطريق الوحيد أمام الشعوب الساعية إلى التحرّر. حتى ولو اعتبرني الكثيرون مغامراً.

• فعلاً.. أنا مغامر.. لكن من طراز مختلف عن المغامرين الساعين وراء نزوات فردية عابرة.. إذ إنّني أضحّي بكلِّ شيء من أجل الثورة والنضال المستمرّ.

• قد تكون هذه الرسالة.. الأخيرة.. لكنّني أودّ أن أقول لكما شيئاً واحداً: لقد أحببتكم كما لم يحبّكم أي إنسان.. لكنّني عجزتُ عن إظهار هذا الحبّ.. ربّما لأنّني قاسٍ في تصرّفاتي.. مع نفسي ومع الآخرين.. وأعتقد أنّكم لم تفهموني معظم الأحيان.. وأعترف بأنّه ليس من السهل أن يفهمني أحد (من رسالة لعائلته).

• والدتي: لا تخافي.. أن إرادتي القوية.. والشعلة التي تحرقني باستمرار.. ستكونان العكاز التي سيسند قدميَّ الضعيفتين ورئتي المتعبة وصدري الذي يزفر.

• أرجو منكما شيئاً واحداً: أن تتذكّرا دائماً ولدكما التائه الذي يطوف الجبال والأدغال والأودية في أصعب الظروف وأدقّها لأنَّ شيئاً ما يتململ في داخله ويجعله متيقّظاً تجاه الآخرين.. ملايين التاعسين في العالم (من رسالة لوالديه).

• أنني احس على وجهي بألم كل صفعة توجه إلى كل مظلوم في هذه الدنيا .

• لقد تعلمنا الماركسية من الممارسة العملية.. في الجبال .

• عزيزتي تمسكي بخيط العنكبوت ولا تستسلمي (من رسالة إلى زوجته إلييدا) .

• إن من يعتقد أن نجم الثورة قد أفل فإما أن يكون خائنًا أو متساقطًا أو جبانًا.. فالثورة قوية كالفولاذ.. حمراء كالجمر.. باقية كالسنديان عميقة كحبنا الوحشي للوطن .

•

• كل قطرة دم تُسكب في أي بلد غير بلد المرء سوف تراكم خبرة لأولئك الذين نجوا.. ليضاف فيما بعد إلى نضاله في بلده هو نفسه.. وكل شعب يتحرر هو مرحلة جديدة في عملية واحدة هي عملية إسقاط الإمبريالية.

• لا يســتطيع المرء أن يكون متأكدا من أنه هنالك شيء يعيش من أجله.. إلا إذا كان مستعدًا للموت في سبيله .

• إنّ الثورة تتجمّـد.. والثوار ينتـابهم الصـقيع حين يجلســون على الكراسي ويبدأون بناء ما ناضلت من أجله الثورة.

وصور معلقة على صدور الفتيات

بطرق بعيدة تمامًا عن الثورية أصبحت تستخدم الآن بشكل مثير للاستياء صور تشي_ جيفارا على الولاعات.. وجدران البيوت.. وزجاج الســيارات.. وملابس الشباب.. حتى أن هناك نوع ملابس داخلية نسائية أوربي شهير يحمل اسم.. ورسم جيفارا.

حكاية الصورة

وصورة تشي- الشهيرة تلك التقطها المصور الكوبي ألبرتو كوردا دياز الذى اتهم ذات يوم بأنه كان الواشى الذى أرشد قوات الجيش البوليفى عن مكان جيفارا.. ولم يثبت.. أو ينفى هذا التهام بشكل رسمي.

عموماً يقول ألبرتو أنه كان يلتقط بعض الصور فى إحدى الخطب التى كان يلقيها كاسترو فى ميدان عام للشعب الكوبى وكانت المناسبة هي حفل تأبين لضحايا إحدى السفن التى كانت تحمل السلاح إلى كوبا.. وهاجمها مرتزقة تعاونهم الولايات المتحدة بإغراقها.

يقول ألبرتو فجأة نهض تشي- من مكانه مستطلعاً حجم الجماهير التى حضرت الخطبة وهالنى ما رأيت فى هذه العيون من قوة وصلابة وثبات فالتقطت الصورة فى وقت لم يستغرق 15 ثانية.. وبعدها بدأت فى تتبع جيفارا فى كل مكان ملتقطاً له عشرات الصور فى مختلف الأماكن والأوضاع .

وأصبحت الصورة شهيرة بعد ظهورها في مجلة ماتش عام 1967 قبل أسابيع قليلة من مقتل تشي.

ولم يتلق المصور كوردا الذي توفي عام 2001 عن عمر 72 عاما.. أية أموال مقابل ذلك.. ولكنه قاضى وكالة إعلان بريطانية استخدمت الصورة في حملة للترويج للفودكا.. وحصل على تعويض قيمته 50 ألف دولار.. تبرع بها لشراء دواء للأطفال.

إليدا جيفارا ابنة تشي جيفارا البالغة الآن من العمر 46 عامًا.. وهي ممتلئة قصيرة وشقراء لا تشبه أبيها على الإطلاق من ناحية الشكل.. لكنها أكثر أبناءه اهتماماً به.. وبسيرته.. في عينيها عنفوان أبيها وحماسته العارمة لعالم أفضل كان يحلم به لكل الناس.. أنها يمكن أن تستوعب موضوع المنتجات التي تظهر عليها صورة تشي من قمصان التي شيرت.. وحلقات المفاتيح والبطاقات البريدية والرسوم والتي تباع في مختلف أنحاء كوبا.. فضلاً عن باقي أنحاء العالم المختلفة.. على الأقل فإن بعض هذه المنتجات تمجد تشي- حقا كما تقول.. ولكنها أضافت أنها لا تفهم لماذا تظهر صوره في الملابس الداخلية للنساء.

وتقول عندما أجلس وسط المعجبين بأبي في أي مكانٍ بالعالم.. وهم يرتدون صورته.. خاصةً في سانتا كلارا.. تلك المدينة الكوبية التى تحتوى رفاته[1].

(1) كانت تقصد بالتحديد ذلك الاحتفال التأبيني الذي أقامته كوبا في الذكرى الأربعين لوفاة والدها عام 2007 وكانت تجلس في الصف الأمامي من الحفل الذي حضره راؤول كاسترو رئيس كوبا بالإنابة.. وقرأ خلاله رسالة من شقيقه الأكبر كاسترو.. الذي ابتعد عن السلطة في أغسطس 2006 بعد جراحة طارئة.. والذي شبه في رسالته رفيقه في السلاح بـ«زهرة انتزعت من ساقها قبل الأوان».. كما جاءت إلى مصر في نفس التوقيت تقريباً في زيارة غير رسمية بدعوة من جمعية الصداقة المصرية الكوبية.

ووســط كل الاحتفال.. فإن ما خطر في ذهن أليدا هو اســتخدام الرجل الذي كانت تناديه (بابي) بطرق تقول أنها بعيدة تمامًا عن مثله الثورية.. وكيف أنه تحول بعد 40 عاما على رحيله لمجرد أداة تسـويقية.. في الوقت الذى يعتبره المنصـفون من المؤرخين العالميين بأنه أيقونة الثورة العالمية عبر كل التاريخ.

أنه يحقق المبيعات

وحتى في كوبا.. وهي إحدى آخر المعاقل الشـيوعية.. يستخدم تشي- للحصـول على دولار وللحصـول على فكرة.. ويعترف صـاحب محل كوبي لبيع قمصـان التي شيرت المعلقة على جدران محله «أنه يحقق المبيعات».. ولكنه هنا على الأقل يستخدم أيضا لإلهام الجيل الجديد من الكوبيين.. فطلاب المدارس يرددون ا سمه كل صباح ويحيونه قائلين «نريد أن نكون مثل تشي-».. ويجري ذكر اقتباسـات من أحاديثه.. بالطريقة التي يجري بها ذكر اقتباسات من أحاديث فيدل كاسترو تقريبًا.

وصور كاسترو قادمة

ويقول إنريـك أولتوسـكي.. نـائـب وزير الأسـماك الكوبي.. والمعـاصر لكلا الرجلين «لا ريب أنه عندما يموت فيدل يومًا ما.. فإن صورته ستكون مثل صورة جيفارا». ولكن حالة تشي- الأسـطورية كثوري وطني لا تمتد في كل مكان حتى وإن كانت صورته تفعل ذلك.

وليلة كريسماس عام 2008 عندما وضعت متاجر «تارجت» الشهيرة في الولايات المتحدة صورته على محفظة تحمل سي.دي أهم أحداث عامٍ مضى.. فإن المتعصبين للإمبرالية الذين يعتبرونه قاتلاً ورمزًا لمعادة بلادهم.. ضغطوا على الشركة لسحب المنتج.

هل تتحول الظاهرة إلى موضة عالمية؟

وقالت صحيفة «بزنس ديلي» في افتتاحية لها «وماذا بعد؟ حقيبة ظهر تحمل صورة هتلر؟ آنية تحمل صورة بول بوت؟ جوارب نسائية تحمل صورة بينوشيت».. ووصفت استخدام الصورة باعتباره مثالاً على «أناقة الطاغية».

وحاولت عائلة جيفارا أيضاً منع تسويق صورة تشي- بتلك الطرق البغيضة.. وتقول ابنته إليدا أنهم اتصلوا بمحامين في نيويورك لمتابعة الشركات التي تعتقد العائلة أنها تسيء استخدام الصورة.. ليس بهدف مقاضاتهم على الأضرار.. وإنما بهدف مطالبتهم بالتوقف عن ذلك.. وقالت «نحن لا نسعى إلى المال.. كل ما نريده هو عدم الإساءة إلي أبى.. أنه شخصية تاريخية.. وعالمية.. وعلى الجميع أن يحترموا صورته».

وأربعة أبناء

أثرت قوة نجومية تشي– على أبنائه الأربعة الأحياء.. الذي يحمل أحدهم اسم أرنستو جيفارا.. وكان يقود دراجته النارية.. الشبيهة بدراجة والده.. ذاهباً إلى مكان الاحتفال بالذكرى الأربعين لأبيه حيث النصب التذكاري المقام له في كوبا.

وكان الكوبيون يعانقون أبناء جيفارا في الشارع والسياح يعبرون عن الفضول عندما يعرفون هويتهم.. بينما كانت إليدا تحديداً تطلب منهم أن يتوقفوا عن كلمات التباهي التي يقولونها.. وترد عليهم بقولها:

«نعم أنا ابنة تشي.. ولكنني لست تشي».

وإليدا تعمل طبيبة أطفال وأم لشابين صغيرين يفضلان الملابس العصرية على الملابس العسكرية.. وهي أم تهتم بأبنائها أكثر منها إمرأة ثورية.

وشقيقتها الأخرى طبيبة بيطرية.

وأحد الأشقاء يدير مركزاً مكرساً لتشي في هافانا.

ثم هناك أرنستو.. وكلهم يحظون بالدعم.. والرعاية من جانب الحكومة الكوبية باستمرار.

وتسافر إليدا تحديداً دون باقي أشقائها إلى مختلف أنحاء العالم باستمرار لتتحدث في لقاءات.. ومؤتمرات خاصة تعقد من أجل ذكرى تشي.

وفي أحد المؤتمرات في إيطاليا علمت بعد توقيعها على قمصان تي شيرت لبعض الشباب أنهم فاشيون.. وقالت بحسرة «إنهم لا يعرفون شيئًا عنه».

وقالت أنها التقت ذات يوم بجون كنيدي الإبن في أوروبا.. وناقشت معه مسألة أن يكون المرء من ذرية رجل مشهور.. وو صفته بأنه « شخصًا جميلاً».. وقالت أنها كانت قادرة على تمييزه عن والده.. الذي أمر بغزو خليج الخنازير في محاولة لإسقاط الحكومة التي ساعد تشي على إقامتها في كوبا.

ولكن عندما يصل الأمر إلى السياسة الخارجية الأميركية يبرز التشابه مع والدها حقاً.. ويتدفق الكلام الغاضب عندما تناقش الحرب في العراق.. وتسمي الحصار الاقتصادي المفروض على كوبا على مدى خمسين عاماً بكونه « قاسياً وأحمق وغير منطقي».

وقصائد تسجل أسطورته

من أشـهر القصـائد العربية التي قيلت في رثاء جيفارا.. قصـيدة الشـاعر المصر-ي الشهير« أحمد فؤاد نجم» التي يقول فيها :

جيفارا مات..

جيفارا مات

آخر خبر في الراديوهات

وفى الكنايس والجوامع

وفي الحواري والشوارع

وع القهاوي..

وع البارات

جيفارا مات..

واتمد حبل الدردشة والتعليقات

مات المناضل المثال ..

يا ميت خسارة على الرجال

مات الجدع فوق مدفعه جوا الغابات

جسد نضاله بمصرعه ومن سكات

لا طبالين يفرقعوا..

ولا إعلانات

ما رأيكم..

دام عزكم.. يا أنتيكات

يا غرقانين في المأكولات والملبوسات

يا دافيانين..

ومولعين الدفايات

يا محفلطين.. يا ملمعين

يا.. جيمسات

يا بتوع نضال آخر زمن في العوامات

ما رأيكم.. دام عزكم..

جيفارا مات

لا طنطنة.. ولا شنشنة..

ولا إعلامات.. واستعلامات

عيني عليه ساعة القضا..

من غير رفاقه تودعه

يطلع أنينه للفضا..

يزعق ولا مين يسمعه

يمكن صرخ من الألم

من لسعة النار ف الحشا

يمكن ضحك.. أو ابتسم

.. أو ارتعش.. أوانتشى

يمكن لفظ.. آخر نفس..

كلمة وداع لجل الجياع

يمكن وصية للي حاضنين القضية

في الصراع

صور كتير ملو الخيال..

وألف مليون احتمال

لكن أكيد.. أكيد.. أكيد..

ولا جدال

جيفارا مات موتة رجال

يا شغالين.. ومحرومين..

يا مسلسلين رجلين وراس

خلاص.. خلاص..

مالكوش خلاص

غير بالبنادق والرصاص

دا منطق العصر السعيد عصر الزنوج والأمريكان

الكلمة للنار والحديد..

والعدل أخرس أو جبان

صرخة جيفارا يا عبيد في أى موطن أو مكان

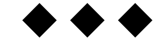
مافيش بديل..

مافيش مناص..

يا تجهزوا جيش الخلاص

يا تقولوا على العالم خلاص

وهناك الكثير من الشعراء الآخرين رثوا تشي- جيفارا.. ومنهم الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي في قصيدة عنوانها «عن موت طائر البحر مهداة إلى إرنستو تشي جيفارا».. والشاعرة كوليت ماني.. والشاعر الفرنسي جان فرا.. وآخرين.





وثائق .. وصور

خطاب الوداع

نص خطاب الوداع الذي أرسله جيفارا بالإنجليزية إلى كاسترو

Havana, April 1, 1965

Fidel

At this moment I remember many things-when I met you in Maria Antonia's house, when you proposed I come along, all the tensions involved in the preparations.» One day they came by and asked who should be notified in case of death, and the real possibility of it struck us all. Later we knew it was true, that in a revolution one wins or dies (if it is a real one). Many comrades fell along the way to victory

Today everything has a less dramatic tone, because we are more mature, but the event repeats itself. I feel that I have fulfilled the part of my duty that tied me to the Cuban revolution in its territory, and I say farewell to you, to the comrades, to your people, who now are mine

I formally resign my positions in the leadership of the party, my post as minister, my rank of commander, and my Cuban citizenship. Nothing legal binds me to Cuba. The only ties are of another nature-those that cannot be broken as can appointments to posts

Reviewing my past life, I believe I have worked with sufficient integrity and dedication to consolidate the revolutionary triumph. My only serious failing was not having had more confidence in you from the first moments in the Sierra Maestra, and not having understood quickly enough your qualities as a leader and a revolutionary

I have lived magnificent days, and at your side I felt the pride of belonging to our people in the brilliant yet sad days of the Caribbean crisis.» Seldom has a statesman been more brilliant as you were in those days. I am also proud of having followed you without hesitation, of having identified with your way of thinking and of seeing and appraising dangers and principles

Other nations of the world summon my modest efforts of assistance. I can do that which is denied you due to your responsibility at head of Cuba, and the time has come for us to part

You should know that I do so with a mixture of joy and sorrow. I leave here the purest of my hopes as a builder and the dearest of those I hold dear. And I leave a people who received me as a son. That wounds a part of my spirit. I carry to new battlefronts the faith that you taught me, the revolutionary spirit of my people, the feeling of fulfilling the most sacred of duties: to fight against imperialism wherever one may be. This is a source of strength, and more than heals the deepest of wounds

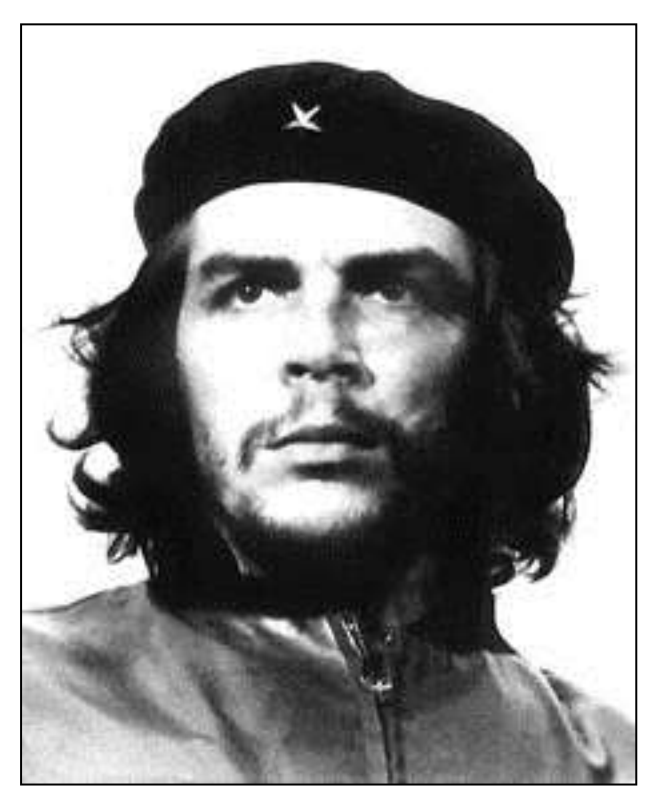
I state once more that I free Cuba from all responsibility, except that which stems from its example. If my final hour finds me under other skies, my last thought will be of this people and especially of you. I am grateful for your teaching and your example, to which I shall try to be faithful up to the final consequences of my acts

I have always been identified with the foreign policy of our revolution, and I continue to be. Wherever I am, I will feel the responsibility of being a Cuban revolutionary, and I shall behave as such. I am not sorry that I leave nothing material to my wife and children; I am happy it is that way. I ask nothing for them, as the state will provide them with enough to live on and receive an education

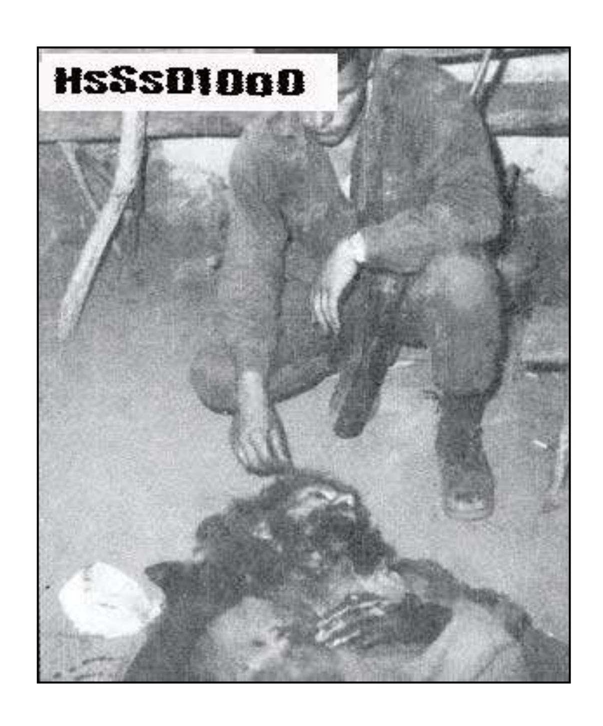
I would have many things to say to you and to our people, but I feel they are unnecessary. Words cannot express what I would like them to, and there is no point in scribbling pages

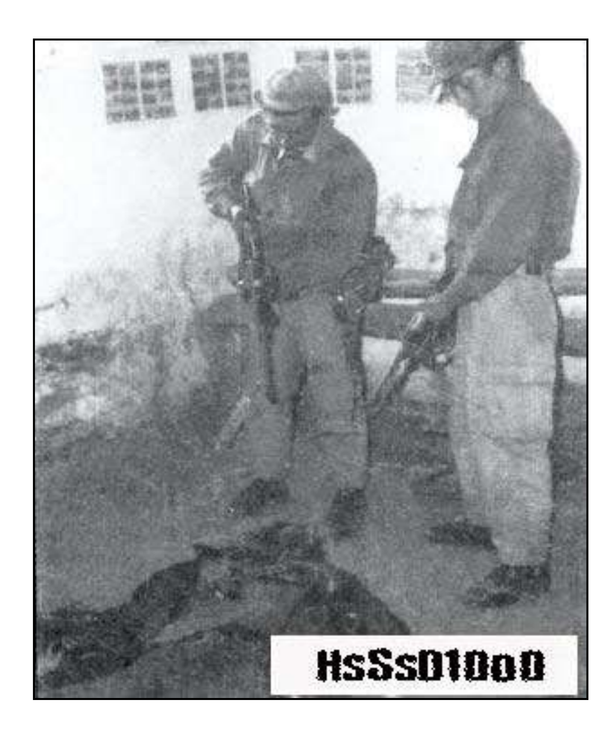
Ever onward to victory
Homeland or Death
I embrace you with all my revolutionary fervour

Che

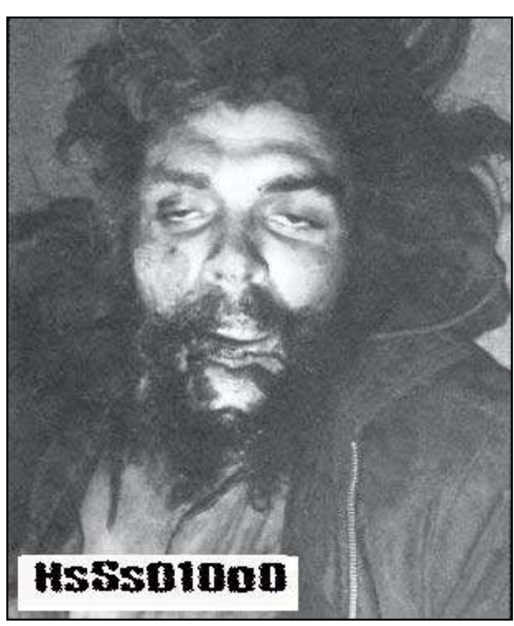




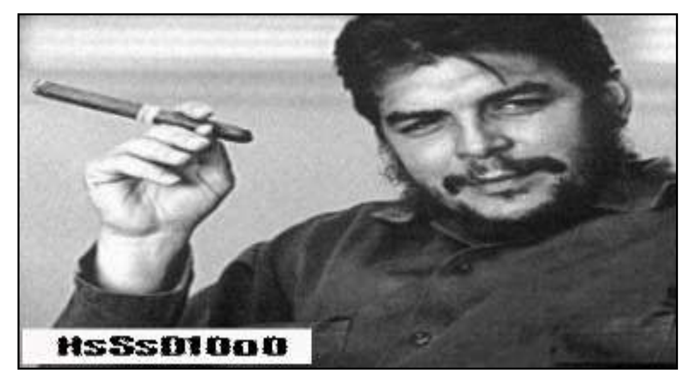





HsSs010o0


HsSs010o0







بعض خصلات شعر جيفارا التى تم الإعلان عنها

أهم المصادر

- موسوعة ويكيبيديا.

- موقع إسلام أون لاين.. ومواقع ومنتديات أخرى.

- مركز وأرشيف مؤسسة الأهرام.

- من قتل هؤلاء لدار الغد العربى .

- جيفارا.. يوميات بوليفيا.

- جون جيراسي.. Venceremos! خطابات وكتابات تشي جيفارا.

الفهرس

